الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العلمي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر
في ميدان اللغة والأدب العربي تخصص أدب حديث ومعاصر

إشكالية الإنتماء في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية " ليس في رصيف الأزهار من يجيب" لمالك حداد أنموذجا.

إعداد الطالبتين:
- نعيمة بودوري.
-ليلى بوسجرة.

إشـراف الأستاذ:
د. شريط رابح.

لجنـــة المناقشـة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
شريف حسني عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	ابن خلدون	رئيسا
شريط رابح	أستاذ محاضر -أ-	ابن خلدون	مشرفا و مقررا
كبريت علي	أستاذ التعليم العالي	ابن خلدون	مناقشا

السنة الجامعية:1442-1443هـ الموافق لـ 2021-2022م

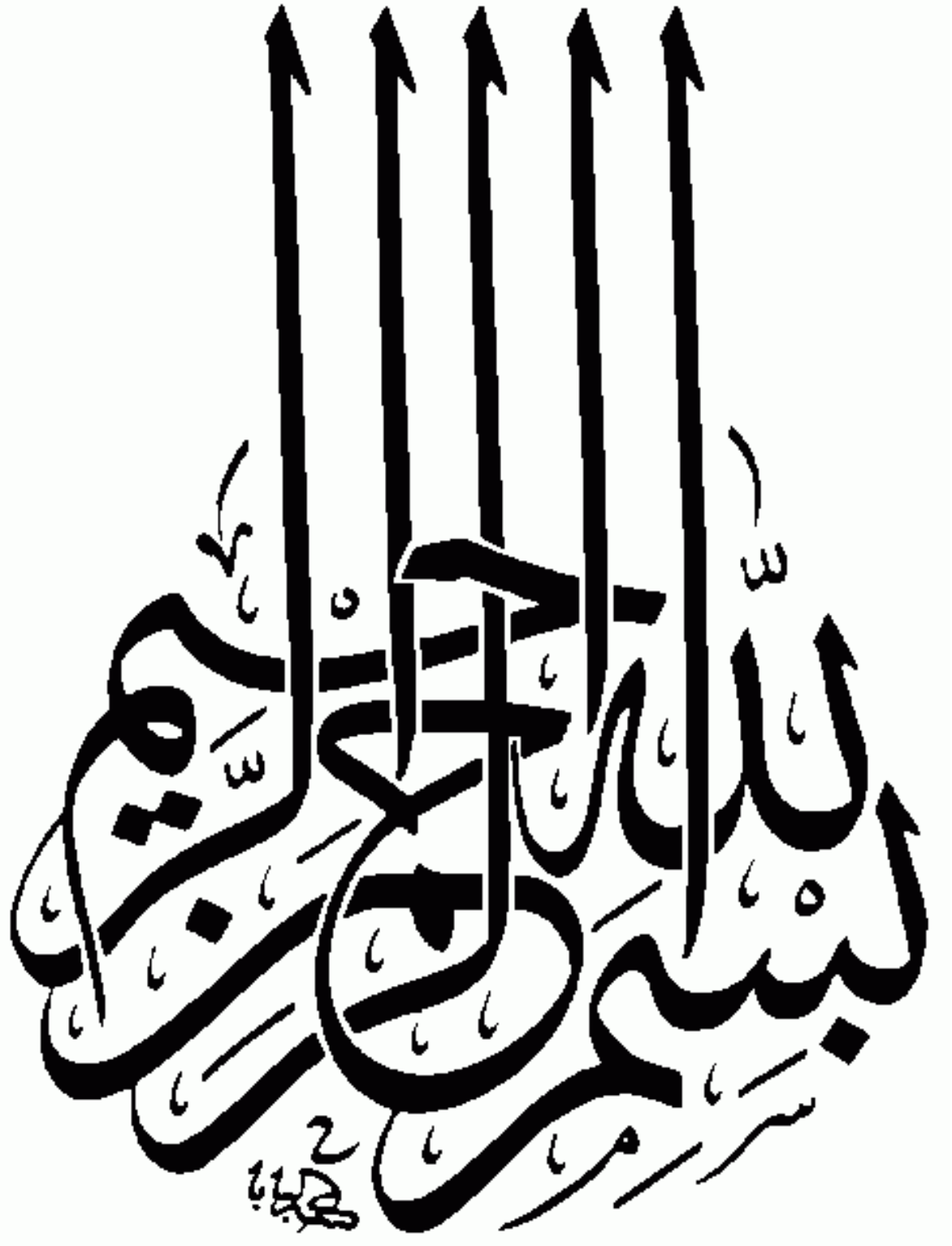
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

لا شكر لمخلوق قبل شكر الخالق عز وجل الذي فتح أمامنا الأبواب ووهبنا القدرة على طلب العلم لنيل فضله ليس في الحياة ما هو أجمل من لحظة قطف الثمار جهدنا، هذا نتوجه بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور رابح شريط حفظه الله، على قبوله الإشراف على مذكرتنا وعلى ما تحلى به من صبر في توجيهنا وإرشادنا.

وإلى اللجنة المناقشة التي شرفتنا بقبول والاطلاع على هذا البحث وقراءته وأخص بذكر أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور شريف حسني عبد القادر، وأستاذنا القدير الأستاذ الدكتور كبريت علي وكل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

اِهداء

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات أهدي عملي إلى كل من أحبهم في الله ويتوق القلب ليخاطب من شذى ،يذكرهما اللسان وقال فيهما الرحمان

{ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ }الإسراء 23

إلى الإنسان الذي علمني كيف يكون الصبر طريقا للنجاح وكان السند والقدوة لي والدي الحبيب أطال الله في عمره

إلى من رضاها غايتي طموحي ،أعطتني الكثير ولم تنتظر الشكر إلى باعثة العزم والتصميم والإرادة ،صاحبة البصمة الصادقة في حياتي والدتي الحبيبة أطال الله في عمرها .

إلى رفاق البيت الطاهر إلى من حبهم يجرى في عروقي ويلهج بذكرهم فؤادي إلى أخواتي ليلى –أحمد–مُحَمَّد – أدم

وإلى صديقاتي العمر ليلى –وفاء–نجية .

إلى من علموني حروفا من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأجلى عبارات في العلم إلى من صاغوا إلي من علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا مسيرة العلم والنجاح إلى أساتذتي الكرام وخاصة أستاذة التعليم الابتدائي حمزاوي بركاهم

نعيمة

اِهداء

الحمد لله الذي وفقني على إنجاز هذا العمل

أهدي ثمرة نجاحي إلى من حملتني تسعة أشهر وهنا على وهن

إلى مدرستي وعالمي وحياتي ومهندسة خطواتي الأولى

أمي حفظها الله وأطال في عمرها

إلى الذي أحنى ظهره ليكون سلما أصعد إليه نحو النجاح إلى من نجحت بفضل

دعواته أبي حفظه الله وأدامه فخرا لنا

إلى قرة عيني وتاج رأسي عائلتي

إلى كل من شاركني في إنجاز هذا العمل

زميلتي وعائلتها الكريمة

ليلى

مقدمة

يعد الأدب الجزائري من بين أهم الآداب العالمية ،خصوصا الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ،الذي كان الاستعمار الفرنسي سبباً في ظهوره كونه استخدم اللغة الفرنسية كوسيلة من أجل تجريد الجزائريين من هويتهم ،لكن الأدباء الجزائريين جعلوه كوسيلة ضد الاستعمار لتعبير عن جرائمهم ،فقد ظهرت إشكالية عويصة تتمثل في كيفية التصنيف هل هو جزائري محض أم فرنسي ؟فقد أبدع الأدباء الجزائريين باللغة الفرنسية ومن أهمهم آسيا جبار –مُحَمَّد ديب –مولود معمري –مولود فرعون –كاتب ياسين –مالك حداد الذي كان هو أساس في بحثنا هذا وذلك من خلال رواية ليس في و رصيف الأزهار من يجيب التي تتحدث عن مظاهر الإنتماء ،ومن هنا نتساءل :

*ماهي مراحل تطور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية؟

*وماهي هوية هذا الأدب؟

ومن أهم لأسباب والدوافع التي قادتنا إلى إختيار هذا الموضوع نذكر منها :

إقتناعنا بخصوبة الموضوع (الهوية)وثرائه بعديد من القضايا

*الوصول إلى بعض الحقائق وتوضيح الهوية الحقيقية للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية التي طالما وقع حوله جدل .

وللإجابة عن هذه التساؤلات تطرقنا في مذكرتنا الموسومة ب إشكالية الإنتماء في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ،ليس في رصيف الأزهار من يجيب لمالك حداد –أنموذجا- إلى عدة نقاط مرتبطة بالأدب الجزائري ،فقسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة وفصلين وخاتمة ،

جاء الفصل الأول بعنوان الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية وإشكالية الهوية ،تناولنا فيه مبحثين حيث وسمنا المبحث الأول بمراحل تطور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية الذي قسمناه بدوره إلى فترة ما قبل الاستقلال 1830-1962م وبعد الاستقلال 1962-1999م أما المبحث الثاني المعنون ب إشكالية الهوية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية (صراع الأنا والأخر).

وسعينا في الفصل الثاني الموسوم بـــ مظاهر الإنتماء في رواية ليس في رصيف الأزهار من يجيب لمالك حداد وتناولنا فيه مبحثين ،عنونا المبحث الأول بالتعلق بالوطن والذاكرة ،والمبحث الثاني الذي كان بعنوان الإنتماء القومي ودوره في ترسيخ الهوية .وفي الأخير أنهينا عملنا هذا بخاتمة أجملنا فيها ما استخلصناه من هذا البحث المتواضع .

وقد حاولنا مقاربة البحث بعدة مناهج فرضتها ضروريات البحث، محددا المنهج التاريخي الذي تجلى في تتبع تطورات الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أدبا فرنسيا، وبين نظائرهم الذين يعتبرونه عربيا بغض النظر عن اللغة ،والمنهج المقارن من خلال أساسيات المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية لتصنيف الأدب .

ومن بين أهم المصادر والمراجع التي ساعدتنا في بحثنا المتواضع هو الأدب الجزائري باللسان فرنسي نشأته وتطوره وقضاياه للأحمد منور، وكذا رواية ليس في رصيف الأزهار من يجيب.

كما هو معلوم فإن أي عمل يعترض سبيله جملة من العوائق والصعوبات وبحثنا هذا لم يخرج عن ذلك فقد واجهتنا بعض الصعوبات تمثلت في جمع المادة العلمية وتصنيفها وكيفية تحرير البحث .

وفي الختام ما يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الدكتور رابح شريط الذي منحنا الكثير من وقته ومن علمه ما جعلنا نكابد مشقة العمل ونصل إلى مانحن عليه وقبوله الإشراف على مذكرتنا ،فنسأل الله أن يبارك له في عمره ويمنحه الصحة والعافية .

كما نتقدم بجزيل الشكر للأعضاء اللجنة المناقشة على تفضلها بقراءة هذه المذكرة وكذا نتقدم بشكر إلى كل من قدم لنا يد العون من قريب ومن بعيد .

فما وفقنا فيه من الله وحده، وما أخطأنا فمن أنفسنا .

الفصل الأول: الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية وإشكالية الهوية

المبحث الأول: مراحل تطور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.

- فترة ما قبل الاستقلال 1830-1962.
- فترة ما بعد الاستقلال 1962- 1999.

المبحث الثاني: إشكالية الهوية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية (صراع الأنا والأخر).

- مفهوم الهوية.
- إشكالية الهوية.
- هوية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.
- صراع الأنا والأخر.

مراحل تطور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.

يعتبر الأدب الجزائري حديث الولادة مقارنة بنظيره المشرقي إذ يعد الاستعمار من الأسباب التي أدت لظهوره خصوصا المكتوب باللغة الفرنسية فقد حاول الاحتلال الفرنسي طمس الهوية الجزائرية من خلال القضاء على اللغة العربية، ولكن الأدباء الجزائريين استخدموها كوسيلة، للتعبير عن جرائم الاستعمار و تصوير مآسي الحرب. ورغم كل محاولات فرنسا، إلا أن الأدباء الجزائريين استطاعوا الحفاظ على الثقافة الجزائرية والتمسك بها.

1) فترة ما قبل الاستقلال 1830–1962م:

دام الاستعمار الفرنسي في الجزائر قرابة القرن ونصف القرن من زمن فكان له أثر على المجتمع الجزائري بمختلف شرائحه، ولم تكتف فرنسا بسياسة التقتيل والتجويع، بل حاولت طمس الشخصية الوطنية عن طريق محاربة اللغة العربية وفرض لغتها على أبناء الوطن وحرب الإبادة ولكنها لم تستطع أن تجرد الجزائريين من هويتهم وضرب ثقافتهم رغم استخدامها لأساليب « الإبادة المعنوية أو الروحية ترادفت مع حرب الإبادة المادية هذه بشقيها العسكري و الاستيطاني، حرب إبادة أخرى لا تقل عنها فتكا وتدميرا، بل لعلها الأشرس والأخطر لأنها تستهدف ضرب القيم المعنوية و الروحية للإنسان وتفرعت بدورها إلى شقين هما :

1. هدم وتدمير البنيات الثقافية والاجتماعية والتشريعية والروحية للشعب الجزائري.

2. إحلال البنيات أخرى محلها مستمدة من ثقافة المستعمر، وأنظمة اجتماعية»[1]

بعدما فشلت فرنسا في القضاء على الجزائريين من خلال الاستلاء على الأراضي وتعميرها بالعنصر الأوروبي وتجريدهم منها بكل الطرق والأساليب القهرية و استعمال القوة العسكرية ،فقد استعملت طريقة أخرى وهي غرس الثقافة الفرنسية وذلك بتهديم البنيات الثقافية والاجتماعية والأخلاقية والدينية للمجتمع الجزائري وغرس الأنظمة جديدة لطمس وتجريد الجزائريين من هويتهم، إذ «لا يخفى على أي جزائري ما فعله الاستعمار منذ ولوجه أرض الجزائر سنة 1830م طمعا منه في طمس الهوية الجزائرية والشخصية الإسلامية، حيث استعمل كل وسائل الدمار والخراب والظلم من أجل ذلك مقتديا بمقولة مكيافيللي المشهورة " الغاية تبرر الوسيلة " وهذا ما أبقى على جذوره نار المقاومة متقدة رغم كل هذه الأفاعيل».[2]

حاولت فرنسا جاهدة من أجل محاربة اللغة العربية إذا تعد لسان الأمة، وهي أكبر خطر يهدد كيانها ،فقد كان «من أخطر أسلحة الاستعمار تغريب الجزائريين عن اللغة العربية، وفي أواخر القرن الماضي سنة 1833م زار الشاعر المصري أحمد شوقي ،الجزائر وعندما عاد إلى القاهرة تناقلت الصحف قوله المشهور ولا عيب فيها (أي الجزائر) غير أنها قد مسخت مسخا . فقد عهدت مساح الأحذية يستنكف النطق بالعربية وإذا خاطبته بها لا يجيبك إلا بالفرنسية » [2]

[1]- أحمد منور، الأدب الجزائري بلسان فرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007، ص **55** .

2-ينظر:أبوقاسم سعد الله أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986

[2]- نور سلمان الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرر دار الأصالة لنشر والتوزيع 2009 الجزائر ص 133 .

أصبحت اللغة الفرنسية لغة تخاطب عند الجزائريين وهذا ما تسعى إليه فرنسا ولكن مع ذلك باءت محاولتها بالفشل ولكنها كانت خطوة خطيرة لاستبدال اللغة العربية وفرض اللغة الفرنسية مع ذلك ظل الشعب الجزائري متمسكا بلغته و «لا شك في أن محاولة الاستعمار للغة العربية في الجزائر، كانت خطوة خطيرة وفاشلة ساد بها تناقض غير طبيعي في الوضع» [1]

فرضت فرنسا لغتها وجعلتها لغة أساسية وأزاحت اللغة العربية وجعلتها مجرد لغة ثانوية هكذا عاش الجزائريون أزمتهم في اللغة.

فبالرغم من فرض اللغة الفرنسية على الجزائريين إلا أنهم تمسكوا بلغتهم الأم ما جعل محاولة فرنسا فاشلة، وهذا ما جسده الأدباء الجزائريون في اتجاهاتهم الأدبية بدأ بالشعر وصولا إلى الفن القصصي .

ويرجع ظهور أول نص أدبي جزائري بالغة الفرنسية « للمؤرخ والباحث الفرنسي جان ديجو إلى سنة 1891 وهو عبارة عن قصة بعنوان انتقام الشيخ وهي مستوحاة من التقاليد الاجتماعية الجزائرية كتبها مُحَمَّد رحال ،ونشرتها المجلة الجزائرية التونسية، الأدبية، والفنية »[2].

إن الظروف التي فرضتها فرنسا لمحاربة اللغة العربية وفرضه اللغة الفرنسية، جعلها الأدباء الجزائريون أداة للتعبير عما يعانيه المجتمع الجزائري نتيجة الاستعمار الفرنسي « ويرى في هذا السياق الكاتب محمد

[1]- أنور جندي الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1965م 1385هـ ص 133.
[2]- أحمد منور الأدب الجزائري بلسان فرنسي ،ص 87 .

ديب أنه سيسخر كل قواه الفنية للوقوف في خدمة إخوانه المظلومين، بحيث تكون الثقافة سلاحا من أسلحة المعركة وكان همه الكبير هو أن يضم صوته إلى صوت الجموع من أول قصة كتبها»[1].

وقد أشار جان ديجو jean Dé jeux إلى أن معظم الجرائد والمجلات التي كان يصدرها الفرنسيون في الجزائر في الفترة ما بين 1880-1920م، وبحث عن نصوص أخرى لجزائريين أخريين؟« لم تسخر إلا على نتائج هزيلة، بحيث لم يعثر إلا على نصوص قليلة موقعة بأسماء ذات رنين عربي مثل الجزائري و"الراوي" و"الفرياني"، وهو يشك كثيرا في حقيقة أصحابها ،بل ويرجع أنها أسماء مستعارة لمستوطنين فرنسيين، ويستغني اثنين منهم أحدهما يدعى أحمد بوري الذي نشر 1912م في جريدة "الحق " رواية بعنوان مسلمون والمسيحيون ويعلق على الرواية بأنها كتبت بماء الورد كناية على القفز المتعمد للمؤلف على تناقضات الواقع، حيث يصور العلاقة بين الفرنسيين والجزائريين في غاية الانسجام والوئام ،والثاني يدعى سالم القبي، الذي نشر سنة 1917م مجموعة شعرية بعنوان حكايات وقصائد من الإسلام اتبعها بمجموعة أخرى سنة 1920م بعنوان أنداء مشرقية ،ولا يختلف عن الأول في تمجيد الإسلام والشرق وفرنسا في آن واحد »[2]

إن هذه الروايات كانت تصور العلاقة بين الفرنسيين والجزائريين وعلاقة فرنسا بالإسلام ولكنها لم تلقى رواجا في بدياتها الأولى.

[1]- ينظر سعاد خضر الأدب الجزائري الحديث ،منشورات المكتبة العصرية بيروت 1967ص 85 .

[2]- أحمد منور. الأدب الجزائري بلسان فرنسي .ص 87-88

«إن جان د يجو ،المؤرخ الأول للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، يتخذ سنة 1920م كانطلاقة حقيقية لهذا الأدب الناشئ ،ويعد مؤلف القايد بن شريف ،الموسوم بأحمد بن مصطفى القومي ،بداية تلك الانطلاقة ،وينظر إليه على أنه أول رواية كتبها جزائري باللغة الفرنسية»[1].

إذا قلنا أن بداية انطلاق هذا الأدب في سنة 1920 ،ليس من المعقول أن يتأخر عن الظهور بتسعين عاما ،وهناك عدة أسباب أدت إلى تأخر هذا الأدب كل هذه المدة وأبرز عاملان رئيسيان هما العامل السياسي الذي انتهجه الاستعمار ضد الشعب الجزائري ومقاومته الأساسية والعامل الثاني الذي يتمثل في سياسة التعليم التي طبقها الاستعمار وفرضها على الأمة الجزائرية والتعليم الإجباري للغة لفرنسية على حساب اللغة العربية « وهكذا ظهرت فجأة، بعد أكثر من تسعين عاما من الاحتلال، أعمال أدبية باللغة الفرنسية لجزائريين ،كتبت على عجل للمناسبة، ونشرت على عجل أيضا ،بالرغم مما كانت تنطوي عليه من نقائض وعيوب. إذ كان لابد من التسامح مع ''جمعه ''،حتى يتقن القواعد بشكل أفضل ،ويتمرن على أساليب التعبير تحت بصر وسمع سيده ((....فكان المؤلفون (الجزائريون)يريدون أن يبرهنوا (للمستعمر) أنهم تلاميذ نجباء ومقتدرون)) وعلى هذا النحو ظهرت في العشرية 1930.1920م خمسة أعمال أدبية وكنا أشارنا من قبل إلى مجموعة سالم القبي الشعرية، والسيرة الذاتية للقايد بن الشريف .ونظيف إليهما رواية

[1]-المصدر نفسه .ص 88.89

الزهراء امرأة المنجمي لعبد القادر حاج حموا التي صدرت سنة 1925م . ورواية مأمون بدايات الأولى مثل أعلى لشكري خوجة التي صدرت سنة 1928م ورواية العلج أسير بربروس التي أصدرت سنة 1929م »[1].

إن الشيء الذي يمكن أن أضيفه أن الكتاب الجزائريين بلسان فرنسي في تلك الفترة والذين نشرت كتاباهم هم أغلبهم قد درسوا في المدرسة الفرنسية وقد اعتنى بهم الاستعمار عناية شديدة « وهم قبل كل شيء هم نتاج المدرسة الفرنسية، وينتمون في معظمهم إلى أبناء الذوات وإلى المتعاونين مع الإدارة الاستعمارية ممن كانت أحوالهم ميسرة ويؤمنون فوق هذا بفكرة التعايش مع الاستعمار وبفكرة الاندماج في مجتمع المستوطنين »[2]

ويرون أنه كان الفضل لفرنسا في تطور الأدب وكانوا يظهرون إعجابهم بالثقافة الفرنسية إلا أن الثقافة والحضارة الفرنسية عكس الثقافة الجزائرية وتعتبر من أهم الإشكاليات التي كانت هاجس في الأعمال الأدبية لأن معظم أعمالهم كانت تتعلق بمسألة حرية تعاطي الخمور، لعب القمار، وهي عادات كانت تشكل جزءًا كبير من حياة اليومية للفرنسيين . لا يعاقب عليها القانون وكانت تسمح لهم بممارسة الدعارة وتعاطي المخدرات وكل هذه الأشياء من المحرمات في الدين الإسلامي ومن كان يمارسها يقيمون عليه الحد لمرتكبها، إن هؤلاء الكتاب لم ينظروا من زاوية الشرعية بل من أثارها المدمرة على الأسرة المسلمة « وهذا ما حاولت أن تعبر عنه رواية الزهراء امرأة المنجمي لعبد القادر حاج حمو، التي تعد بحق باكورة الأعمال الروائية

[1]–أحمد منور الأدب الجزائري بلسان فرنسي .ص.94

[2]– أحمد منور الأدب الجزائري بلسان فرنسي.ص 95 .

للكتاب الجزائريين باللغة الفرنسية ،فقد كان بطلها هو عامل جزائري يعمل في مناجم الفحم بضواحي مدينة مليانة ،يعيش مع زوجته عيشة راضية قانعة ،رغم الأجر الكبير بينه وبين ما يتقاضاه، أي عامل أوروبي يعمل معه في المنجم ذاته وما أن خالط المجتمع المدينة وعاقر الخمرة مع رفاقه من العمال الأوربيين ،حتى تدهورت حاله، وأهمل زوجته، وترك الصلاة وانتهى به الأمر إلى السجن متهما بارتكاب جريمة قتل لم يقترفها في الحقيقة »[1]

إن هذه الروايات تعالج موضوع الخمر والعادات الغربية وتأثيرها على المجتمع وما تخلفه من ماسي في الأخير .

عالجت رواية مأمون شكري خوجا « موضوع الخمرة ونتائجها المدمرة على حياة بطله ،الذي جاء من عمق الريف الجزائري إلى العاصمة لمتابعة الدراسة ،وبعد مخالطة المجتمع المدني الأوروبي ،بحكم أنه ابن قايد انتهت حياته بالمرض والموت من جراء الشراب والسهر ولعب القمار »[2].

إن هذه المواضيع التي تناولها الأدباء لم تكن مسألة شخصية وإنما كانت هاجس تهدد المجتمع الجزائري فجعلوها موضوعا لأنها تمس أخلاق وقيم الجزائريين

[1]- المصدر نفسه.ص.96 .

[2] - أحمد منور الأدب الجزائري بلسان فرنسي ، ، ص 96.

يرى مصطفى الأشرف « أن موضوع معاقرة الخمرة وتعاطي الحشيش ،ولعب القمار ،لم تأتي عفويا ،ولم يكن أبدا مجرد مسألة شخصية ،أو موضة أدبية لدى كتاب هذه الفترة ،ولكنه كان هاجس اجتماعي ،تحركه انشغالات وتساؤلات فكرية وسياسية »[1]، إن أزمة الهوية قد رافقت الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية منذ بداياته الأولى ،بين حرية الفرد بالمفهوم الغربي ،والوازع الديني والأخلاقي بالمفهوم الإسلامي.

ولم نكتف بما تم عرضه ،بل انتقالنا إلى مسألة أخرى وهي مسألة إمكانية حصول الجزائريين على صفة المواطنة الفرنسية من هويتهم وغرس القيم والثقافة الغربية عند الجزائريين وهذه الفترة تمتد من 1929م-1948م كان الإنتاج الروائي الجزائري باللغة الفرنسية لا تتعدى سبع روايات أهمها « رواية مريم بين النخيل 1934م لمحمد ولد شيخ، وبولنوار الفتى الجزائري 1941م لرابح زناتي ،وليلى فتاة جزائرية 1948م لجميلة دياس ولكن تظل رواية العاج أسير بلاد البرابر "لشكري خوجة" أهم رواية عالجت هذا الموضوع . مع أنها كانت أسبق في ظهور من الروايات المذكورة تعود 1929م، وذلك لأنها ابتعت –خلافا للروايات الأخرى – عن المعالجة المباشرة للموضوع حيث لجأ كاتبها إلى استلهام وقائع من تاريخ رياس البحر في الجزائر القرن السادس عشر، ليسقطها بشكل فني بارع على عصره في عشرينيات القرن الحالي ،ويحاول أن يدفع القارئ إلى استخلاص العبرة من كل ذلك »[2]

[1]– المصدر نفسه ص 97.

[2]– أحمد منور، الأدب الجزائري بلسان فرنسي، ص 98

إن معظم هذه الروايات كانت تجسد مشكلة وصعوبة الانسجام المجتمع الجزائري مع المجتمع الفرنسي من ناحية الدين والثقافة ،فكانوا يدعون إلى الإدماج والهجرة

ويندرج هذا المقال في رواية ابن فقير لمولود فرعون « التي يعود تاريخ كتاباتها إلى سنة 1939م حيث يلتقي كاتبها مع كاتب هذه المرحلة في منطلقاتهم الفكرية ،أي في الإيمان بمبدأ سياسة الاندماج ،والتعايش مع الأوروبيين ،والأهالي وهي الفكرة التي غرسها في نفسه دار المعلمين ببوزريعة وقد كتب روايته ابن الفقير انطلاقا من هذا المنظور، حيث يعتقد أن الأهالي قد أتيحت لهم فرصة التعرف على بلاد فرنسا وسكانها عن طريق الهجرة ،وعن طريق المدرسة حتى أن أطفال يعرفون من أين ينبع نهر السين (....)وما بقي إلا أن يسقط القناع الوحشي البدائي. أو بعبارة مختصرة: "الإنساني " الذي يختفي وراء وجوده للأهالي وعندما يسقط القناع يتم التعرف من كلا الجانبين »[1]

ونجد أن الرواية المكتوبة بالفرنسية في الجزائر عرفت. سنة 1948م خروجا عن هذا التقليد ويظهر ذلك في رواية « روايتي إدريس لعلي الحمامي ولبيك لملك بن نبي، وكلا الكاتبين، وتبناه كتاب الروايات السابقة وعبروا عنه في أعمالهم الأدبية ،فقد كان الأول أحد المناضلين الجزائريين الذين عرفوا بكفاحهم الطويل ضد الاستعمار بالسلاح وبالفكر على السوء إلى أخر لحظة في حياته »[2]

[1]- ينظر: يوسف نسيب .مولود فرعون حياته وأعماله .ترجم: حنفي بن عيسى ص32.

[2]- أحمد منور. الأدب الجزائري بلسان فرنسي. ص 104.

شكلت الرواية طابعا جديدا، وقد اعتبرت سلاحا ضد الاستعمار ،والرجوع إلى الدين فالمؤلف هو الذي يعطي الحلول لبعض التساؤلات ويبين المسار الصحيح ويعالج المواضيع المهمة التي تهم المجتمع الجزائري و« في هذه الرواية يعود الكاتب إلى معالجة موضوع الخمرة الذي كان يشكل الهاجس الرئيسي لكتاب العشرينيات كما أشرنا من قبل .ولكن من منظور جديد. وفي نطاق تصور نظري متكامل لدى المؤلف عن شروط النهضة الجزائرية التي يرى أنها لا يمكن أن تقوم إلا على أساس الرجوع إلى الأصل أي إلى الدين الصحيح .وبناء على هذا الأساس يعطي المؤلف الحل . ولا يترك بطله حائر، مستسلما ينتظر مصيره، المحتوم في قدرية وعجز كامل، كما كان حال بطلي رواية زهراء امرأة المنجمي لعبد القادر حاج حموا ،ومأمون لشكري خوجا، ويتمثل الحل في توبة البطل ،وتكفيره عن ذنوبه ،بالذهاب إلى البقاع المقدسة ليؤدي فريضة الحج، ومن هنا جاء عنوان رواية لبيك »[1]

شكلت رواية الدار الكبيرة سنة 1952م لمحمد ديب منعرجا حاسما في تطور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية وهي أول رواية تتحدث عن النضال السياسي في ضل الاستعمار لأنها كانت تتحدث عن هموم الناس ووصف المعيشة القاسية والجوع والفقر « شكل ظهور رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب 1952 منعطفا حاسما في تطور الأدب الروائي الجزائري المكتوب بلغة الفرنسية على مستوى المضمون ،فلأول مرة تتجاوز فيه هذه الرواية صالونات المثقفين ومناقشتهم الفوقية عن العدالة والمساواة في ظل الحكم الاستعماري ،وهمهم التعايش السلمي بين الأهالي والمعمرين ،عن طريق الدعوة إلى الاندماج والزواج المختلط

[1]- أحمد منور الأدب الجزائري بلسان فرنسي ص105

.لتنزل إلى الطبقات الدنيا مع المجتمع ،وتتحدث عن هموم الناس البسطاء من عامة الشعب، وتصنف أحوالهم المعيشية القاسية ،ومعاناتهم من الجوع والفقر والقهر، ولأول مرة تتحدث عن النضال السياسي الجزائري ،وعن المناضلين يعيشون في الخفاء ،مطاردين من قبل البوليس الاستعماري ولأول مرة تطرح تساؤلات محددة وصريحة عن الهوية الوطنية وعن مفهوم الوطن، وعن الهوية الحقيقية للجزائريين »[1]

وفي نفس الفترة ظهرت أعمال أخرى لكتاب آخرين في نفس اتجاه رواية مُحَّد ديب، وتصور معاناة الشعب الجزائري من جهل وفقر واستغلال وذلك في رواية النوم العدل سنة 1955لمولود معمري « فقد كشفت الأولى عن حالة التخلف والفقر والاستغلال والحرمان التي كانت تعاني منها القرى القبائلية المنعزلة في رؤوس الجبال .تحت وطأة الجهل والتقاليد المتحكمة في الحياة الناس من جهة ،ووطأة الاستعمار واستغلاله لحالة الجهل والتخلف والخلاف فيما بينهم من جهة أخرى ،بما يخدم مصالحه ويضمن له استمرار التحكم في مصائر العباد وأقوامهم »[2].

والرواية الثانية للكاتب ياسين في رواية، نجمة سنة 1956م فقد عرضت كذلك للمعيشة القاسية التي يعيشها الجزائريين في المدن وهي «حالة البطالة والفقر المدقع الذي يعيشه الجزائريون في المدن،

[1] – أحمد منور الأدب الجزائري بلسان فرنسي ، ص106.

[2] – المصدر نفسه ، ص107.

والاستغلال والمهانة التي يتعرض لها العاملون باليومية في وُرش المعمرين وضياعهم الواقعة على أطراف المدن، وهو ما يضاعف إحساسهم بالظلم، ويدفع بعضهم إلى التمرد وربما إلى ارتكاب جرائم قتل »[1] .

ولم يبقى الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية يدور في نفس المسائل بل بدأ يجسد أحداث الثورة الجزائرية ضد الاستعمار وذلك في رواية الانطباع الأخير لمالك حداد التي تصور المقاومة الشعبية والواحات الدامية التي شاهدتها الثورة الجزائرية التي « قدمت نماذج من صور المقاومة الشعبية ،أبطالها فلاحون من الأرياف ،وحرفيون في المدن، وشبان وفتيات، مثقفون وإنصاف مثقفون وأميون، وعرضت لوحات دامية مما كانت تقوم به القوات الفرنسية من قنبلة بالطائرات ،وقصف بالمدفعية للقرى والأرياف ،وتشريد لسكان تلك القرى ،وما كانت تفعله تلك، القوات نفسها في المدن من قمع وتهريب للسكان الأمنيين ،وتعذيب للمناضلين و الثوار الذين يقعون بين أيديها ،وزج بالأبرياء في غياهب السجون والمحتشدات »[2].

وكذلك في رواية التلميذ والدرس 1960، ورصيف الأزهار لم يعد يجيب 1961 حيث ركزت على الأحداث والوقائع التي يعيشونها وتصوير معاناة الحرب .

[1] – المصدر نفسه، ص107

[2] – أحمد منور الأدب الجزائري بلسان فرنسي، ص109

يمكن أن نقول أن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية برغم من أنه بدأ بطيئا ألا أنه أصبح من آداب العالمية، ووسيلة لتصوير معاناة الجزائريين في عهد الاستعمار الفرنسي لتجريد الجزائريين، وتجسيد هموم الأمة الجزائرية .

وبالرغم من أن فرنسا استعملت اللغة الفرنسية لتجريد الجزائريين من هويتهم واضطهاده، والقضاء على الثقافة الجزائرية وطمس معالم الوطنية. إلا أن الكتاب الجزائريون استخدموها كأداة لصالحهم لتعبير عن المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع لكشف الستر وإظهار الوجه الحقيقي للمستعمر.

فقد أثارت الرواية الجزائرية الناطقة بالفرنسية جدلا كبيرا بين النقاد والدارسين فهناك من اعتبرها مضامين فكرية واجتماعية وهناك من اعتبرها وسيلة التي يكتب بها الأدب عن هويته كما يرى هؤلاء « قد أسهمت في نمو الأدب الفرنسي أكثر مما ساهمت في نمو وإخصاب الأدب العربي »[1].

أي اعتبار اللغة هي هوية الأدب يؤدي هذا إلى « إنكار آداب أمم استعارت لغة غيرها لظروف خاصة واتخذتها وسيلة للتعبير عن أفكارها ،ومشاعرها وهي أفكار ومشاعر الأمة ،تختلف عن مشاعر وأفكار الأمة التي استثارت منها لغتها »[2].

[1]- ينظر: الطاهر بكري. إشكالية الأدب المغاربي الناطق بالفرنسية .ومسألة اللغة مجلة التبين .ع1.1990.ص .20

[2] -المصدر نفسه، ص21

يرى بعض الدارسين أن الأعمال الأدبية المكتوبة بالغة الفرنسية لا تنتمي إلى الأدب الفرنسي باعتبار أن اللغة هي الصلة الرئيسة بين فكر المبدع ونصه المنتج بينما يرى آخرون أنها قد تركت أثر إيجابي في الأدب ،ونجد الروائي مولود معمري يعبر عن هذه الفكرة في قوله « أكاد أقول أن ذلك خط ربما تكون قيمة الكاتب بأن يعبر عن شعوره بلسانه الخاص ويحي اعتبار ثورة جزائرية ،فلا يجب أن ينثر هذا الجزء الذي هو خط خاص بها »[1].

و ما إن نالت الجزائر استقلالها، حتى وجد الكتاب والأدباء الجزائريون أنفسهم أمام واقع جديد و قضايا جديدة، تنوعت وتعددت ولم تقف على موضوع واحد. بل على حسب وجهة نظر الكاتب وميولاته وتوجهاته إذ اعتبرها موضوعا لمختلف الدراسات الأدبية.

2) فترة ما بعد الإستقلال1962-1999

عرفت الجزائر أثناء الاستقلال عدة تحولات تاريخية و اجتماعية و اقتصادية و لاسيما الثقافية، خاصة على الصعيد الأدبي، مما جعل الأدباء الجزائريين يشرعون إلى رسم معالم جديدة لهذا الأدب، فالظروف السياسية التي عاشتها الجزائر في تلك الفترة فرضت واقعا ثقافيا فريدا، و جعلت من الكتاب يهتمون بالجانب الإبداعي والفكري لديهم و ذلك من خلال : « معرفتهم لبعض المناقشات الفكرية على صفحات الجرائد، و أشهرها تلك المناقشة التي أثارها مقال لمصطفى الأشرف نشره سنة "1963" في مجلة

[1]- ينظر أحمد منور الأدب الجزائري بلسان فرنسي .ص 106

الأزمنة الحديثة الفرنسية بعنوان "مستقبل الثقافة في الجزائر"، و دارت حول قضايا تتصل بالثقافة و الأدب، و شارك فيها "مراد بوربون"، "مُحَّد بوديا"،"بشير حاج علي"،"مالك حداد"، و "محمد حربي." » [1].

لقد مثل الأدب والثقافة في الجزائر صفحة هامة لدى الكتاب الجزائريين، و هذا ما جعلهم يهتمون به.

إذ كان هدف الكتاب الجزائريين هو تطوير الجانب الثقافي و الأدبي في بلادهم، و الاهتمام به أكثر من أي شيء آخر، و كان مالك حداد هو الأسبق في طرحه لهذا الموضوع: « فقبل وقف القتال بشهور عديدة، و ذلك في المقال المطول الذي نشره سنة 1961م، و أعطاه عنوان الأمطار تدور في فراغ"، و أهداه لروح الشيخ عبد الحميد ابن باديس ». [2]

فالموضوع الأساسي الذي عالجه هذا المقال هو: « القضايا المتعلقة بالكاتب و الكتابة و لغة الكتابة، و مستقبل الأدب و الثقافة في الجزائر »[3].

و لقد طرحت في الساحة الأدبية إشكالية أخرى، ألا و هي إشكالية اللغة التي انبعث عنها سؤال الهوية فقد:" آثارنا الوقوف عند شخصية عربية رغبة منا في الإطلاع على ما خلفته هذه التجربة من مواقف إزاء الأدب المكتوب باللغة الأجنبية عامة و الأدب الجزائري المكتوب بالحرف الأجنبي خاصة، و بناءا على تلميحاته الداعية إلى عدم إغفال الظاهرة اللغوية في تحقيق فعل الإنتماء القومي للأدب الجزائري، و ضرورة

[1] -أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشاته و تطوره و قضاياه ص118.

[2] - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشاته و تطوره و قضاياه، ص119.

[3] -المصدر نفسه، ص119.

أخذ الوسيلة اللغوية بعين الاعتبار في تحديد هوية النص الوطنية، و تتمثل هذه الشخصية في الشاعر العربي عبد المعطي الحجازي الذي يوضح، «...أن الأدب لا ينسب للغة التي يكتب بها عندما نقول رواية مكتوبة بالفرنسية هي فرنسية يكتبها جزائري ...مقدما فيها رؤيته للعالم نعم، و لكنها فرنسية مثل تماما الشعر العربي نصفه كتبه الفرس، و لكنه عربي بلغته، و متى تصبح جزائرية إلا بعد أن تصبح الفرنسية لغة وطنية، المستقبل كما هو واضح بالعربية و بالرغم من أن الفرنسية لغة نافذة على اللغة العالمية » [1].

إن اللغة العربية و مستقبل الأدب الجزائري كان من أولى اهتمامات الكتاب و الأدباء الجزائريين تعتبر سببا لإثبات الهوية و الإنتماء للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، و هو ما أدى إلى اختلاف الآراء بشأنها.

و قد كان لكل روائي جزائري رأي خاص به حول مستقبل الكتابة باللغة الفرنسية، فمالك حداد مثلا شعر بالنقص اتجاه هذه اللغة فقال: « لقد أراد الاستعمار ذلك، لقد أراد الاستعمار أن يكون عندي هذا النقص، لا أستطيع أن أعبر بلغتي. » [2]

[1] – سلوم صغير، رحمان عبد المعطي الحجازي، فاطمة تصرح للشروق، في الشروق الثقافية، أسبوعية، مؤسسة الشروق للإعلان و النشر، العدد 40، الجزائر، أفريل 1994،ص12.

[2] – مُحَّد خضر أسماء، الأدب الجزائري المعاصر، د.ط، المكتبة العصرية بيروت، لبنان. دون سنة، ص205.

فهو يشعر بالنقص و العجز و الألم، كل ما أراد أن يعبر عن آلام مجتمعه الجزائري باللغة الفرنسية، و لعل أهم مقولة تؤكد اعتزازه بالقومية قول : « نحن نكتب الفرنسي و لا نكتب بالفرنسية ». [1] Nous écrivons le français ,nous écrivons pas français.

لقد اثبت مالك حداد أن الكتابة باللغة الفرنسية ليس رفعا من شأنها و علوا بمكانتها، و إنما من أجل إظهار عيوب أصحابها خصوصا المستعمر الفرنسي.

و أما الروائي "مراد بوربون" يرى أن اللغة ليست ملكا لأحد حيث يقول: « إن اللغة الفرنسية ليست ملكا خاصا للفرنسيين، و ليس سبيلها الملكية الخاصة، بل أن أي لغة انما تكون ملكا لمن يستطيع أن يطوعها للخلق الادبي أو يعبر بها عن حقيقة ذاته القومية ». [2]

فاللغة عنده هي أداة لتعبير فقط و وسيلة لإيصال الافكار مهما كان لسانها، فاللغة أداة لتطوير العمل الأدبي و إبراز حقيقته بغض النظر عن مجتمعها.

كما أن الكاتبين ياسين و مولود معمري لا يشعران بالحرج عند كتابتها باللغة الفرنسية، ويعتبر أن اختيارهما لهذه اللغة هو اثراء الثقافة الجزائرية و للأدب الجزائري، و توظيفهم للغة الفرنسية ما هو الا وسيلة لإيصال أفكارهم، حيث يقول الكاتب ياسين : « أن معظم ذكرياتي و إحساساتي، أحلامي ومناجاتي

[1] – جبور (أم الخير) الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيو نقدية، دار سيم للنشر، الجزائر. الطبعة 01، 2013، ص 77.
[2] – الأعرج الواسيني، اتجاهات الرواية العربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص71.

الداخلية تتعلق ببلادي فمن الطبيعي ان أشعر بها في صيغتها الأولى أي لغتي الأم العربية، ولكنني لا أقدر على انشاءها و التعبير عنها الا باللغة الفرنسية »[1].

أما مولود معمري فيقول : « إنني على ثقة أكيدة بأن المناضل هو الذي يطلق النار على الآخرين، و في الإمكان أن نطلق العبارات النارية بواسطة القلم، هذا حال الكاتب »[2].

إن الكتاب الجزائريون الذين كتبوا باللغة الفرنسية، كان سبب كتابتهم الظروف التاريخية التي عاشتها الجزائر تحت الحكم الاستعماري.

فلقد كانت الثقافة الفرنسية هي الثقافة الوحيدة المسموح بها آنذاك، و هذا الطرح وضحه "جون بول سارتر" (Jean-Paul Sarter) قائلا: « و لكننا على كل حال، أردنا أن نجعل من إخواننا المسلمين شعبا من الأميين و بلغ عدد الجزائريين الأميين اليوم 80 بالمائة، قد كان الأمر يهون لو أننا لم نحرم عليهم استعمال لغتنا، و لكن الواقع أن متطلبات النظام الاستعماري أن يحاول سد طريق التاريخ على المستعمرين، و لما كانت المطالب القومية في أوروبا تعتمد دائما على وحدة اللغة، فقد حرم على المسلمين استعمال لغتهم بالذات، إن اللغة العربية في الجزائر لغة أجنبية منذ عام 1830 م إنهم لا يزالون يتحدثون بها و لكنها كفت أن تكون لغة مكتوبة إلا بالقوة لا بالفعل، و ليس هذا كل شيء فالإدارة الفرنسية صادرت دين العرب،

[1] – عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1985م-1967م). ترجمة محمد مقر، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982 ص79.

[2] – المصدر نفسه، ص137.

لكي تبقيهم في التجزئة و التفتت و هي تختال رجال الدين الإسلامي من بين عملائها و قد حافظت على أحط أنواع الخرافات التي تعرف بين الناس » [1].

فإن جول بول سارتر (Jean-Paul Sarter)في هذا القول بين لنا أن الاستعمار الفرنسي، هو الذي حاول جاهدا محاربة اللغة العربية و القضاء عليها بكل الوسائل و الطرق و جعلها لغة أجنبية منذ عام (1830م)، فهي لغة مكتوبة بالقوة لا بالفعل.

و مع منتصف الستينات ظهرت مجموعة من التغييرات شهدتها الساحة الأدبية، خاصة على مستوى الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، فلقد ظهرت اتجاهات عدة مست الرواية بالدرجة الاولى، و كان يغلب عليها الطابع السياسي و الاجتماعي، ففي هذه الفترة: « بدأ يظهر ضمن أدب الجزائريين المكتوب باللغة الفرنسية، توجه جديد، لاسيما في الرواية، غلبت عليها النزعة السياسية الانتقادية، و لذلك أسماه أحد الباحثين بأدب النزعة الاحتجاجية،الاجتماعية والسياسية و نشر معظم هذا النوع الاحتجاجي في فرنسا، نذكر منه على الخصوص أعمال "محمد ديب" الروائية التي ظهرت في فترة ما بين (1968م-1973م) ،" رقصة الملك" و "إله الأرض البربر" (1970م)، و"معلم الصيد" (1973م)، و رواية مراد بوربون "المؤذن" (1968م) و "التطليق" (1969م)، و "ضربة الشمس" (1972م) لرشيد بوجدرة و "موت صالح باي"(1980م) لنبيل فارس » [2].

[1] – سارتر جان بول(Jean-paulsarter)، عارنا في الجزائر، ترجمة عائدة سهيل إدريس، دار الآداب، ص 22. عن أمين الزاوي، الرواية المكتوبة بالفرنسية، ص13. د.ت و د.ط.

[2] – أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياه ص120-121.

فلقد كان لكل هذه الأعمال حس ثوري، حيث سعت لمحاربة و نقد الأوضاع السياسية و الاجتماعية التي كانت سائدة في الجزائر، و توجيه الجماهير إلى الواقع الأدبي من أجل تخليص الأمة من الجهل و التخلف الذي خلفه الاستعمار الفرنسي، و لقد بقي هذا الاتجاه الإنتقادي سائدا: « حتى بعد مظاهرات أكتوبر (1988م)، و صدور دستور 29 فبراير 1989م، الذي سمح بالتعددية السياسية ولعل أبرز رواية ظهرت في هذه الفترة هي رواية "شرف القبيلة" (1989م) لرشيد ميموني، التي رصد فيها السلوكات التي كان يقوم بها مسؤولو و إطارات و مناضلو الحزب الواحد التي كانت تتميز حسب ما تصورها الرواية بالنفاق وتشجع على انتشار الانتهازية والرشوة و الجهوية، كل ذلك في شكل كاريكاتوري ساخر »[1].

فهذا هو الاتجاه الذي ساد الجزائر حتى فترة الستينيات بوجه عام، حيث حمل الأدباء على عاتقهم مهمة رصد مخلفات الاستعمار التي انعكست سلبا على المجتمع الجزائري.

و بعد الاستقلال عرف الأدب الجزائري انتعاشا كبيرا إذ تنوعت كتابته : « حول المجتمع الجزائري و مكانة المرأة الجزائرية في المجتمع، و حول الثورة الجزائرية بصفة عامة و اغلب الكتابات اشتركت في المواضيع نفسها، و لكن اختلفت في طريقة أو كيفية معالجة هذه المواضيع »[2].

لقد كانت جل أعمال الأدباء الجزائريين تصف الواقع الاجتماعي المرير الموجود في الجزائر، و من بين هذه الأعمال نذكر رواية آسيا جبار " أطفال العالم الجديد" سنة (1962م)، حيث تقوم هذه الرواية على

[1] – المصدر نفسه،، ص122.

[2] – جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد، التجربة و المآل، وهران، الجزائر، 2007، ص 115.

: « أرضية حرب التحرير و مالها من ردود أفعال لدى جميع الفئات الجزائرية، وخصوصا العنصر النسوي المتحرك بكل حرية في حيز هذه الرواية فالنساء اللواتي كن حبيسا تفي ديارهم، أثبتت أنهن قادرات على القيام بأعمال بطولية » [1]، فالروائية هنا عبرت عن الثورة و أكدت على أن المرأة الجزائرية كان لها دور فعال في المساهمة في الحرب التحريرية.

ورواية "العصا والأفيون" سنة (1965م) لمولود معمري، التي تدور أحداثها أثناء حرب الاستقلال من خلال احدى القرى البربرية، التي شهدت بعض وقائع هذه الحرب و هكذا: « واصل الروائي الجزائري التعبير عن الواقع الذي عاشه مع التذكير بالثورة الجزائرية، لبث روح الوطنية في خلده، وهناك من اختار الصمت و اتجه البعض الآخر إلى الخارج بعد انقلاب هواري بومدين (1965م)[2] ».

وعليه، فإن هذه الأعمال كانت تصوير لبطش الاستعمار و بشاعة أعماله.

ولم يقتصر هذا على الرواية فقط، ففي مجال المسرح كانت معظم المسرحيات التي ظهرت في هذه الفترة موضوعها الثورة وأهمها مسرحية "الجثة المطوقة" للكاتب ياسين فهذه المسرحية هي : « تمجد الثورة التحريرية تمجيدا ملحميا ورمزيا، وتستنجد بالمقاومة ضد الاحتلال الغاشم لأن الثورة في نظره حل جذري لكل أشكال الظلم والقهر الاستعماري، كما نراهن طغيان الرمزية على الشخصية وتحيل إلى عوالم الإبداع وهواجسه، تدور أحداث المسرحية حول البطل لخضر المحاصر من قبل الاستعمار، إذ حاول هذا البطل أن

[1] – عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي المعاصر، ص233.

[2] – خليف هوارية، نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية و إشكالية الهوية و الانتماء، مجلة الدراسات المعاصرة مخبر الدراسات النقدية و الأدبية المعاصرة، المركز الجامعي تيسمسيلت، العدد 02، جوان2017، الجزائر ص79.

يستعيد ماضيه وماضي بلاده اللذان أخفاهما قناع المستعمر وهو في غمرة تلك الصراع يدور في تلك الدائرة المنفية، يكتشف أن الانتفاضة الثورية وحدها هي التي ستحطم تلك الدائرة ».[1]

فهذه المسرحية كانت بدايتها عبارة عن صدمة للمتلقي بلحظة المذبحة الرهيبة التي اقترفها جنود الاحتلال الفرنسي. و كانت هناك مسرحيات أخرى: « عرضت على خشبة المسرح أثناء الثورة التحريرية في بروكسل بعنوان "دائرة الانتقام"، وهناك أعمال لقيت صدى أقل مما سبقها مثل "الزيتونة"(1962م)، لمحمد بوديا و "احمرار الفجر" (1969م) لآسيا جبار و كذا مسرحية "الرجل ذو النعل المطاطي"(1970م) للكاتب ياسين ».[2]

و أما القصة القصيرة بالفرنسية أخذت بعد الاستقلال الثورة التحريرية كموضوع رئيسي لها، كانت الأعمال الروائية والشعرية في هذه الفترة و كان : « محمد ديب في مجموعته القصصية الثانية الطلسم(1966م) سباقا مرة أخرى في هذا المجال، و يتأكد التركيز على موضوع الثورة التحريرية في كل مرة، يظهر فيها عمل قصصي جديد لا سيما في أعمال الكتاب الذين إستشهروا القصة القصيرة على قلتهم قدور محمصاجي في مجموعته "زهور نوفمبر" (1969م)، و مولود عاشور في مجموعاته الناجي (1971م)

[1] – أحسن ثليلاني، المسرح الجزائري و الثورة التحريرية، دراسة تاريخية فنية، وزارة الثقافة الجزائر، عاصمة الثقافة العربية 2007 ص139.

[2] – إشراف كلتين، رقية مصطفاوي، التجديد في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ما بعد الاستقلال، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة و الأدب العربي، جامعة جيلالي بونعامة بخميس مليانة، السنة 2016-2017، ص58.

،"عباد الشمس" (1973م)، و آخر "موسم العنب" (1975م) و "أيام المعاناة" (1983م) و كلها لمولود عاشور إذ تشكل فيها القصص المتعلقة بالثورة نسبة عالية جدا »[1].

هذه المجموعة من الأعمال الابداعية التي صاحبت النص القصصي في الفترة الممتدة ما بين الستينات إلى بداية الثمانينات.

فكل هذه الأعمال صورت لنا الأعمال الاجرامية التي قام بها المستعمر في أرض الوطن وبينت لنا :"تعمق الإحساس بالوعي الوطني ووحدة الأمة." [2]

فهذه الأعمال الأدبية كلها من مسرحية والقصة القصيرة والشعر،: « سجلت تزايد في فترة ما بين (1962م-1978م) فالمسرحيات تضاعفت بأكثر من مرة ونصف والقصص بست مرات ولا نملك إحصائيات شاملة عن هذا الأدب بعد سنة 1978 ». [3]

في الفترة الممتدة من الستينيات إلى أواخر السبعينيات سجلت بعض الأعمال الأدبية كالمسرحية والقصة القصيرة والشعر تزايد كبير بسبب إقبال الجمهور على قراءتها و ابتداءا من منتصف الثمانينيات

[1] – أحمد منور، أزمة الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية. عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط01، دار الجيل، بيروت، 1991، ص112.

[2] – أحمد منور، أزمة الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية. عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط01، دار الجيل، بيروت، 1991، ص108.

[3] – ينظر، أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطور و قضاياه، ص129.

سجلت هذه الأعمال تراجع كبير و يعود سببها لعدم إقبال الجمهور على قراءتها، و هو مادفع بالناشرين، مع إفلاس الشركة الوطنية للنشر و التوزيع. [1]

لقد أدى تضاعف إنتاج الروايات واهتمام الشعب بقراءتها إلى إهمال الأعمال الأدبية الأخرى لهذا سجلت تراجع كبير في فترة الثمانينيات.

وفي فترة السبعينيات تعدت إلى السطح موضوعات أخرى، ألا وهي مسألة أو إشكالية الهوية الوطنية الجزائرية التي :" عبرت عنها بشكل مباشر بحوث مولود معمري اللغوية والأنتروبولوجية على الخصوص، روايته الأخيرة "العبور" (1982م)، كما طرحها غيره في أعمال أدبية مختلفة، تتراوح ما بين التصريح و التلميح، و بين المباشرة و الرمزية، مثل ما نجد في مسرح الكاتب ياسين عامة الذي يتميز بأسلوب استفزازي، يسخر فيه من الدين الإسلامي، ويهاجم اللغة العربية الفصحى، ولا يعتبرها لغته أو لغة الشعب الجزائري، وهي لغة ميتة في نظره، مثلها مثل اللاتينية، مثل أعمال نبيل فارس الروائية، مثل "ذاكرة الغائب" (1974م)، و مثل "المنفى و الحيرة" (1976م)، التي تطرح العديد من الأسئلة حول الهوية الجزائرية المستلبة، والثقافة الأصيلة، المغيبة، وكذا الأمر في بعض الأعمال طاهر جاووت كروايته "مشروع الملكية"، التي سبقت الإشارة إليها وروايته "اختراع الصحراء" (1987م)، التي يتخذ فيها من سيرة المهدي ابن

[1] - المصدر نفسه، ص129-130.

تومرت البربري أساسا لنقد التاريخ الإسلامي في منطقة المغرب، ويطرح أسئلة إشكالية تتعلق بالهوية الجزائرية، ويحاول أن يسقط وقائع ذلك التاريخ على واقع الحركات الإسلامية في العصر الحاضر. [1]

فهذه الأعمال اتخذت الهوية الوطنية كموضوع أساسي ومهم، حيث لازم فيه هؤلاء الأدباء موضوعات مختلفة منها اللغة والدين الإسلامي والثورة و التحرر والأوضاع الاجتماعية والسياسية.

و مع ذلك ظل الأدب الجزائري يستقي موضوعاته من الواقع المعيش في تلك الفترة، ويرصد الأوضاع الاجتماعية و السياسية حيث : « ظل موضوع حاضر على الدوام في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، ونعني بالموضوع السيرة الذاتية للمؤلفين، نذكر منها رواية "الشمس تحت الغربال" (1982م)، و "النظرة المجروحة" (1987م)، و كلاهما لرابح بلعمري، و "رأس المحنة" (1991م) لعبد الرحمان وناس»[2].

تطورت بذلك الموضوعات الروائية بتطور الأوضاع والظروف وصولا إلى فترة حاسمة ألا وهي فترة التسعينيات، حيث بدأت روايات جديدة بظهور تنقد المد الإسلامي حيث: « صورته في شكل خطر سياسي و اجتماعي داهم، يهدد الديمقراطية و الحريات العامة، و من ثمة تدعوا و بشكل صريح و مباشر إلى التصدي له و محاربته بكل الوسائل، وتعد أعمال رشيد ميموني القصصية و الروائية الاخيرة، ابرز النماذج في هذا الصدد، مثل بعض نماذجه في مجموعته القصصية "حزام الغولة" (1990م)، وروايته "اللعنة"

[1] – أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطور و قضاياه، ص 122-123.

[2] – أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطور و قضاياه، ص 124.

(1993م) التي تتخذ من اعتصام الإسلاميين في ساحة أول مايو في شهر يونيو (1991م)، و استيلائهم على قسم الاستعجالات في مستشفى مصطفى، بعد صدامهم مع قوات الأمن، محورا لها » [1].

جاءت أغلب الأعمال الروائية في هذه الفترة قائمة على نقد تيار الدين الإسلامي ونقد كل رموزه : « وهذا لم يكن بجديد في كتابات الروائيين الجزائريين باللغة الفرنسية، بدءا برواية "بولنوار" لرشيد الزناني في الثلاثينيات، مرورا "بالمؤذن" لمراد بوربون في الستينيات، و "اختراع الصحراء" لطاهر جاووت في الثمانينيات، ولكن أسلوب النقد هو الذي يتغير حسب وجهة نظر الكاتب وعقيدته السياسية التي يتجلى فيها الدين »[2].

فهذه الأعمال الأدبية صورت لنا المجازر الإجرامية التي قام بها المستعمر الفرنسي أثناء الاحتلال.

رغم كل المآسي التي مرت بها الجزائر لم يتوقف مبدعوها عن التعبير، خصوصا في مرحلة ما بعد الاستقلال، فقد حمل الأديب الجزائري هموم الوطن من الجهل وفقر و أمية و صولا إلى الأوضاع السياسية المزرية التي مست الوطن خلال عقد من الزمن.

استثمر الروائي الجزائري في مشاكل الوطن وهمومه وجعل منه نصا روائيا يصور آلام وآمال الشعب المضطهد.

[1] – المصدر نفسه، ص 125.

[2] – أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطور و قضاياه، ص125.

إشكالية الهوية في الأدب الجزائري المكتوب بالغة الفرنسية « صراع الأنا والأخر »

أولا: مفهوم الهوية

إن مفهوم الهوية يتميز بمعاني كثيرة، ودلالات مختلفة، فهو يعتبر مصطلحا حديث النشأة، ولا يمكن حصرة في تعريف واحد .

الهوية كما يعرفها قاموس المنجد: «حقيقة الشيء أو الشخص، المطلقة، المشتملة على صفاته الجوهرية » [1]

أي أن الهوية تعرف وتبين الصفات ومميزات الشخص وحقيقته فهي: «كلمة مشتقة كما هو واضح في مبناها ،من الضمير المنفصلً ''هو'' الذي يدل على ذات الأخرين »[2].

في اللغة الفرنسية : «إن لفظ الهوية l'identité مشتق من الكلمة اللاتينية Edém التي تقال عن الأشياء أو الكائنات المتشابهة أو المتماثلة تماثلا تاما، مع الاحتفاظ في ذات الوقت بتمايز بعضها عن بعض »[3]. أي أن الهوية تعبر عن الأشياء المتشابهة ،ومع ذلك تحتفظ بالمميزات في قاموس لاروس : « مجموع لظروف والحيثيات التي تجعل من الشخص شخصا مميزا ،أو محددا »[4] .

[1]- لويس معلوف. المنجد في اللغة و الأدب والعلوم .ط2.بيروت (د.ت)مادة الهوية ص 564-565

[2]- أحمد منور الأدب الجزائري بلسان فرنسي .ص2

[3]- المصدر نفسه ص12

[4]- المصدر نفسه، ص 12

أي أن الهوية هي التي تجعل الشخص مميزا عن غيره.

كما تعرف بأنها : « مجموعة من الخصائص والملامح التي تتكون منها الشخصية المميزة لشعب من الشعوب وهناك كثير من المفاهيم التي تساعد في الإحاطة بموضوع الهوية مثل الذات، والشخصية ،والفرد والروح الجماعة ،والضمير الجمعي، وغيرها »[1].

من خلال هذا التعريف يتضح أن لكل شخص هوية من خلالها ينسب إلى بلد ما . ويعرف عز الدين المناصرة الهوية : « عبر علاقتها بالسلوك واللغة والثقافة التي تسمح لشخص أن يتعرف على انتمائه إلى جماعة اجتماعية والتماثل معها غير أن الهوية لا تتعلق فقط بالولادة أو باختيارات التي تقوم بها الذات ،لأن تعين الهوية سياقي ومتغير »[2].

إذن أن الهوية تجعل الشخص يتعرف على إنتمائه إلى جماعة الاجتماعية وأن الهوية لا ترتبط بالولادة بل هي متغيرة

ثانيا: إشكالية الهوية

تعد إشكالية هوية الأدب من بين أهم الإشكاليات التي طرحت ،وأغلبها عند العرب وعند بلدان إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية للأنهم كانوا يكتبون بلغة غير لغتهم، وسبب في ذلك يرجع إلى الاستعمار، حيث

[1]- فايز الصباغ وأخرون ،اللغة والهوية في الوطن العربي ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،بيروت ،لبنان ط1 2003ص55

[2]- عزدين مناصرة الهويات والتعددية اللغوية .قراءات في الضوء النقد الثقافي المقارن دار المجدلاوي للطباعة والنشر الاردن 2004.ص24

توجد أداب مختلفة تكتب بالغة الإنجليزية والفرنسية أي باللغات الاستعمارية فهناك من يرى أنه أدب قومي عربي وهناك من لا يعترف به بسبب اللغة التي كتب بها : « اتجاه ينكر الهوية العربية لهذا الأدب بحكم اللغة التي كتب بها، ويرى أنه ليس ممكن اعتبار رواياتهم أي الكتاب 'بالغة الفرنسية' جزء من التراث الثقافي العربي »[1].

وبالرغم من أن الوطن العربي مشترك في الدين واللغة والتقاليد إلا أن الظروف التاريخية والاستعمارية جعلت كل بلد على حدة ،وأن معظمهم استقلوا إلا أنهم مازالوا متأثرين بالازدواجية اللغة وقد طرحت هذه المسألة بشدة أكبر ويعتبرون أن اللغة هي الأداة الأساسية في تشكيل الأدب فنيا:

« فإذا اكتسب الإنسان لغة ثانية يكسبه جنسية فكرية ثانية وهوية أخرى، ويعطيه حق الانتماء الثقافي لثقافة أخرى »[2] .

وقد ظهرت عدة قضايا مختلفة فهناك من يعتبره أدبا أوربيا بسبب اللغة التي كتب بها واعتبره أخرون أدبا قوميا أو إفريقيا باعتبار الروح التي كتب بها وعن الحقائق التي تحدث عنها ،وهناك من يقول أنه أدبا بلا هوية لا يجب أن ينسب إلى البلد الذي ينتمي إليه الكاتب ،لأن ذلك الأدب غريب عنه بسبب اللغة التي كتب بها وهذا مثل ما جرى بالنسبة للأدب الجزائري المكتوب بلغة الفرنسية.

[1]- أحمد المنور الأدب الجزائري بلسان فرنسي ص 177.

[2]- دليلة فرحي الإزدواجية اللغة مفاهيم و إرهاصات مجلةالمخبر جامعة مُحَّد خيضر. بسكرة 2009 ص269.

ثالثا : هوية الأدب الجزائري المكتوب بالغة الفرنسية

بعد استقلال الجزائر واسترجاع سيادتها فقد استعادة لغتها التي فقدتها أيام الاستعمار واعتبرت اللغة العربية رمز السيادة وجعلتها اللغة الرسمية والوحيدة في الجزائر ولكن بعد ذلك ،حدث صراع حول هوية هذا الأدب وإلى أي جهة ينبغي أن ينسب ؟ أيعد أدبا فرنسيا كما يرى بعضهم نظرا إلى اللغة التي كتب بها وإلى الجمهور الذي كان يتوجه إليه ؟ أم يعد أدبا جزائريا باعتبار الروح التي كتب بها ؟

أ– الهوية من خلال اللغة

إن هذا الرأي يرى أن هوية الأدب الجزائري المكتوب بالغة الفرنسية تحدد من خلال اللغة التي كتب بها ولهذا كان الأدب المقارن وجهة نظر مختلفة في مسألة اللغة حيث : « يشتغل الباحثون في الأدب المقارنة بقضية انتماء الأدب أو نسبه ،لأن مجال دراستهم هو البحث في التأثير والتأثر بين الآدب المختلفة والكشف عن صلتها التاريخية ويقتضي اختلاف الأدب تحديد مواطن اختلافها حتى يمكن التفرقة بين أدب وأدب »[1].

ومن المعلوم أن أول مدرسة مقارنة هي المدرسة الكلاسيكية الفرنسية التي تقوم بدراسة الأدب وعلاقاتها التاريخية بين الآدب الأخرى وعلى هذا التدخل في العوامل المحددة لتصنيف الأدب يمكن أن نميز رأيين.

[1]– أحمد سيد محمّد الرواية الإنسانية وتأثيرها عند الروائين العرب،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989ص87

أ–1:رأي المدرسة الفرنسية: تعتبر المدرسة الفرنسية أن اللغة التي كتب بها الأدب هي الفاصل بين الأدبين مهما اختلفت جنسية الأديب، ومهما كان الموضوع الذي عالجه، ومهما كان موقفه منها.

فهم يعتبرون أن كل ما كتب بالغة الفرنسية هو فرنسي الهوية وهذا في قولهم: « اللغة تطبع أهلها بطابع فكري عام موحد، فلا مجال لاختلافات جوهرية في أدب مكتوب بلغة واحدة، وإنما توجد اختلافات جزئية تمثل الطابع الشخصي الفردي لكل كاتب »[1].

إن المدرسة الفرنسية تعتبر جنسية الأدب الجزائري باللغة الفرنسية جنسيته فرنسية بسبب اللغة التي كتب بها فقد اعتبر اللغة كأنها طابع شخصي.

أ–ب: رأي المدرسة الأمريكية:

أن المدرسة الأمريكية كذلك تعتبر اللغة هي الأساس في تحديد هوية الأدب: « يتميز الأدب بطابع يسمو به عن دائرة الطابع الشخصي للأفراد، وقد يتحقق ذلك عند اختلاف البيئة الأدبية مع اتحاد ولغة التعبير »[2].

إن المدرسين تتمثل حجتهم في أن اللغة هي المعيار ومقياس لتصنيف الأدب ،وإن هذا التصنيف يؤدي إلى تجاهل عدة أمم بأكملها بسبب اللغة وهذا بالنسبة للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ،فإذا اعتمدوا

[1]– أحمد سيد محمد الرواية الإنسانية وتأثيرها عند الروائين العرب، ص89

[2]– المصدر نفسه، ص89

هذا التصنيف فإن كل من اللغة والفكر والبيئة التاريخ فأنهم يندثرون ،فإن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية هذا ما يميزه عن غيره من الأدب بصفة عامة والأدب الفرنسي بصفة خاصة

ونستخلص أن الرأي الأول الذي يقول أنه أدب فرنسي فهو قد اتخذ اللغة معيار لتحديد هوية الأدب.

ب–الهوية من خلال انتماء الأديب:

إن هذا الرأي يحدد هوية الأدب من خلال إنتماء الأديب وتاريخ الأدب ومعتقداته والدين. وهذا ما يلخصه قول إبراهيم الكيلاني: « فهذا الأدب وإن كتب بلغة فرنسية فهو يعبر من وراء الحجاب اللغوي عن أعمق الأسس الروحية والاجتماعية التي يقوم عليها ماضي الشعب الجزائري وحاضره »[1] .

وكذلك الكاتبة عايدة أديب بامية تحدد هوية الأدب من خلال الأديب وذلك في قولها : « الأدب الجزائري هو كل عمل أدبي مؤلف سواء بالغة العربية أو بالغة الفرنسية أي من قبل السكان الجزائر الأصلين »[2].

ونجد أن النقاد والباحثون الذين يهتمون بدراسة الأدب الجزائري المكتوب بالغة الفرنسية لهم نظرة متباينة حول هوية هذا الأدب فقد اعتبروه جزائريا وليس بفرنسينا : « فهناك من يعده جزائريا ،وكفى مع الحرص على تميزه دائما بعبارة المكتوب بالفرنسية أو ذو التعبير الفرنسي :..... ويأتي في طليعتهم الأب جان ديجو

[1] – إبراهيم الكيلاني أدباءمن الجزائر دار المعارف مصر العدد 192.ديسمبر 1958ص 28

[2]– عايدة أديب بامية تطور الأدب القصصي الجزائر ص ص 50 – 51.

والأستاذ شارل بون ..... في وصفهم لهذا الأدب الجزائري وتأكيدا منهم بطريقة ضمنية على عدم اعتباره أدبا فرنسيا » [1].

إن الأدباء يعتبرونه أدب جزائريا برغم من أنه كتب بلغة غير اللغة العربية لأنه كان يحمل فيه الروح الوطنية وكان يصور الواقع المعاش ومعانات الشعب ويقول أحمد منور: « إنما هو أدب جزائري بكل معنى الكلمة وأدب وطني ملتزم ....وقطعة من التراث المعرفي » [2].

وفي الأخير يمكن القول إن أغلب الآراء قد اعتبرت وحددت هوية الأدب الجزائري المكتوب بالغة الفرنسية ومنحته الهوية الجزائرية ،بناء على الروح التي كتب بها وإلى الوطن الذي ينسب إليه دون اعتماد اللغة التي كتب بها.

رابعا :صراع الأنا والآخر

لقد حدث صراع بين الفرنسيين والجزائريين من خلال تحديد إنتماء الأدب الجزائري المكتوب بالغة الفرنسية، فقد اختلفت الآراء والمواقف فهناك من يعتبر أن كل ما كتب بالغة الفرنسية هو فرنسي إما الموقف الثاني يقول لا يمكن اعتبار أن كل ما كتب باللغة الفرنسية هو فرنسي بل من خلال إنتماء المبدع أو الكاتب

[1]-أحمد منور الأدب الجزائري بلسان فرنسي ص175

[2]- أحمد منور الأدب الجزائري بلسان فرنسي ، ص 178.

الموقف الأول : أن كل ما يكتب بالغة الفرنسية هو فرنسي .

يرى أصحاب هذا الرأي أن اللغة هي التي تبين هوية وإثبات إنتماء هذا الأدب إلى فرنسا . وتعتبر الظاهرة اللغوية سببا في تحقيق الإنتماء القومي للأدب الجزائري ،ويجب أخذ اللغة بعين الاعتبار في تحديد هوية الأدب، وأغلبهم ينكرون هذا الأدب على أنه أدب عربي بسبب اللغة التي كتب بها ويستند أصحاب هذا الرأي إلى وجهة نظر الأدب المقارن الفرنسية نفسها « مهما كانت جنسية كاتبه . بالأمة التي تتكلم اللغة التي كتب بها ذلك الأدب ،وتعد من آدابها »[1].

و لا يمكن اعتباره ينتمي إلى الجزائر إلا إذا كانت اللغة الفرنسية لغة رسمية و ويظهر ذلك في القول التالي: « لن يصبح أدبا جزائريا إلا بعد أن تصبح اللغة الفرنسية لغة وطنية في الجزائر »[2].

وإن معظم الأدباء الذين كانوا يعتبرون أن الأدب الجزائري المكتوب بالغة الفرنسية هو أدب فرنسي، فمعظم كتاباتهم كانت تدعوا إلى سياسة الإدماج وفكرة التعايش مع الاستعمار، ومعظمهم خريجي المدرسة الفرنسية وقد نفى أحد الدارسين جزائريين هذا الأدب قائلا: « إن هذا الأدب غريب في نفسه ومنفى عن موطنه الذي كتب فيه، ولم يستطع أن يلعب دورا كبيرا في نهضة الأدب المعاصر بالجزائر فضلا على أن يلعب دورا خطيرا في إذكاء نار الثورة التي قيضت للشعب الجزائري أن يكسر قيود الاستعمار الثقيلة »[3]. عليه فإن

[1] – ينظر مُحَمَّد غنيمي هلال .الأدب المقارن .دار العودة بيروت.1983.ص9

[2] – سلوم صغير.رحمان عبد المعطي حجازي. فاطمة تصرح للشروق الثقافية .أسبوعية مؤسسة الشروق الثقافية .أسبوعية الشروق للإعلان والنشر، العدد.40.الجزائر .افريل 1994.ص12

[3] – عبد المالك مرتاض .نهضة الأدب المعاصر في الجزائر1925–1954، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.الجزائر، 1983.ص06

الأدباء الذين كانوا يؤيدون هذا الموقف فهم كانوا يكتبون للمتلقي الفرنسي وليس للجزائري، لأنهم كانوا مع الاستعمار وضد الثورة الجزائرية وكان همهم الوحيد هو نيل إعجاب الفرنسيين.

الموقف الثاني : لا يمكن اعتبار أن كل ما كتب بالفرنسية هو فرنسي

إن اللغة التي كتب بها الأدب الجزائري هي التي أوهمت الكتاب الفرنسين على أنه أدب فرنسي ويرى أصحاب هذا الرأي على أنه لا يمكن اعتماد اللغة كمعيار لتحديد هوية الأدب ،لأن الروائي الذي كتب بالغة الفرنسية كان يجسد واقع المجتمع الجزائري وهموم الأمة الجزائري ،كما هو حال في ثلاثية مُحَمَّد ديب ودار سبيطار والحريق . وكذلك مولود فرعون في رواية نجل فقير ومولود معمري في رواية الربوة المنسية وغيرهما .مادام الكتاب الجزائريين يصورون واقع الشعب الجزائري، فبتالي هو أدب جزائري .

إن هناك علاقة بين أدب الجزائري المكتوب بلغة الفرنسية وتاريخ الجزائر لأنه كان الوسيلة الوحيدة التي توصل صوت الشعب إلى الرأي العام والسلاح الوحيد الذي بإمكانه الوقوف في وجه الاستعمار : « ليس من الإنصاف اعتبار الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أدبا فرنسيا . لأن أدباء الجزائر استخدموا اللغة الفرنسية كسلاح لمواجهة الاستعمار »[1].

[1] – عبد عزيز شرف . المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر .دار الجبل . بيروت .لبنان 1991.ص157

وهذا ما قاله كاتب ياسين: « من يقاتل لا يسأل نفسه ليعرف إن كانت البندقية التي يستعملها فرنسية أم ألمانية أو تشيكية .وإنما بندقية وهي السلاحه وهي لا تخدم إلا معركته (...)إن الفرنسية ليست سوى أداة لتوصيل أفكارنا إلى المثقفين في العالم لنجذب به المفكرين الأحرار لنصرة قضية جزائرنا العربية »[1].

أي أن اللغة التي استعملها الكتاب لا تهم إن كانت عربية أو فرنسية باعتبارها تخدم غايته في توصيل أفكاره وهناك مقولة شهيرة لمولود فرعون أكتب بالفرنسية .وأتكلم بالفرنسية لأقوال للفرنسيين . أني لست فرنسيا.

ويرى أصحاب هذا الرأي بأن ينظر إلى الأدب الجزائري باللغة الفرنسية من ناحية مضمون وعمى تحتويه كتاباتهم لا من ناحية اللغة « فاللغة لا تعتبر عنصر الثقافي الوحيد وربما ليست حتى الأهم »[2].

إن الأدب اعتبر اللغة الفرنسية كوسيلة للتحرر من الهيمنة وهذا لا يقلل من قيمة هذا الأدب ولا من جزائريته فهو يبقى جزائريا باعتباره يحمل الروح الوطنية .وعليه فلا يجب التشكيك في هوية هذا الأدب الجزائري وفي هوية أصحابه، لأنه يجسد الواقع المأساوي للبلاد بكل صدق في رسم صورة الاستعمار ولا يجب انتقاده على اللغة التي استعملها أصحابه لتعبير عن شعورهم اتجاه الوطن .

وبالتالي ،إذا اعتبرنا أن هذا الأدب جزائري فقد نكون قد بالغنا، فهو أدب فرنسي بشكل ولكنه من ناحية المضمون جزائري وهذا ما أكده أحمد منور في حوار جريدة الاتحاد حول هوية هذا الأدب حيث قال: « هو

[1]- المصدر نفسه ص157.

[2]- إبراهيم سعدي الرواية الفرنكوفونية بوصفها نصا متعدد الثقافات المجلس الأعلى للغة العربية. أعمال اليوم الدراسي (الرواية بين ضفتي المتوسط). الجزائر.2011. ص68

إضافة للأدبين العربي الجزائري والفرنسي على السواء (....) أما هويته فهي عربية بروح كتابها ومشاعرهم، وبالموضوعات التي تدور حول أعمالهم ،بل حتى بأسلوب تعبيرهم الذي يستمدونه من لغتهم وثقافتهم الأصلية ،وهي من جهة أخرى هوية فرنسية بحكم اللغة التي كتب بها » [1] أي أن هذا الأدب يجمع بين أدبين أحدهما من ناحية الشكل وأخر من ناحية المضمون.

[1]- أحمد منور .جريدة الإتحاد.29 يوليو.2013

الفصل الثاني: مظاهر الانتماء في رواية ليس في رصيف الأزهار من يجيب

المبحث الأول: التعلق بالوطن والذاكرة.

- مسقط الرأس الشخصية الرئيسية
- 8ماي 1945
- الروح الوطنية
- الوفاء للزوجة

المبحث الثاني: الانتماء القومي ودوره في ترسيخ الهوية

- اللغة العربية
- العروبة

التعلق بالوطن والذاكرة.

تعد رواية ليس في رصيف الأزهار من يجيب من بين أهم الروايات لمالك حداد ،التي تعالج موضوع مساهمة المثقفين المغتربين في ثورة التحرير ،وتتحدث عن مظاهر الإنتماءوتعلق بالوطن رغم البعد عنه ،وقد تحدثنا في مضمونها عن الروح الوطنية ،والوفاء والتعلق بالوطن ،والوفاء للزوجة رغم كل المغريات في المنفى من قبل المرأة الفرنسية .

- **مسقط الرأس الشخصية الرئيسية:**

تعد مدينة قسنطينة من بين أهم المدن الجزائرية وتسمى بمدينة الجسور المعلقة ،وهي تعد أيضا مسقط رأس خالد بن طوبال، وهي مدينة عاش وترعرع فيها ،فقد كانت مدينة جميلة مبتهجة مشرقة قبل أن يدخلها الاستعمار: « السماء تتجلى فوق قسنطينة، وردية اللون وطيور أبوسعد وعصافير الجنة(السنونو) تتنافس أشد التنافس ،بلا أدنى انزعاج هي الهيلوكوبتر والطائرات النفاثة ولم يدم الربيع في الجزائر ،فمهمته تكمن في إعلان قدوم الصيف كانت المدينة تبدو أنها تنتظر غلم تتوصل الأسلاك الشائكة والدوريات المتواصلة إلى انتزاع فتورها المتهجم »[1].

ولكن كل هذه الأجواء إنقلبت بسبب الاستعمار الذي جعلها من مدينة جميلة ضاحكة إلى مدينة بائسة .

إن هذه المدينة لا تغادر تفكير خالد بن طوبال من حين إلى أخر فهو متعلق بها إلى درجة كبيرة برغم من بعد المسافة .

[1] – مالك حداد،رواية ليس في رصيف الأزهار من يجيب ،ترجمة ذوقان قرقوط،أفاق الكتابة ،ص 137

إن مدينة قسنطينة تحتل موقعا إستراتيجيا، وهذا ما جعلها محل للأطماع العدو : « باتت قسنطينة تعيش بعيدة عن العالم وبمعزل عن البقية القارات فهي أكثر من عاصمة استراتيجية ،أصبحت نوعا من الكيان القائم بذاته، وهي قد غدت أكثر من أي وقت مضى جزيرة في المحيط من الكوابيس ،لكنها جزيرة ليست في منجاة من العواصف »[1]. قد جعل من مدينة قسنطينة كأنها جزيرة من الكوابيس وذلك بسبب الاستعمار .

وفي أغلب الأحيان كان خالد بن طوبال يربط صورة قسنطينة مع صورة وريدة زوجته ،للأن كليهما يعتبران من ماضيه الجميل ويظهر ذلك في « وريدة تتنزه في حديقة من حدائق قسنطينة في وقت ما يكون الجبل أزرق ويتجمد الزفت [2] ».

إن الرواية لم تخل من وصف مشاهد لمدينة قسنطينة الساحرة بطبيعتها الخلابة: « انجلت السماء فوق قسنطينة وتدحرجت الشمس فوق جبل شتابا وغمرت الكون عاطفة زاخرة »[3].

وكذلك أيضا صور كل ما هو جميل فيهان سهول وجبال وأنفاقها وطرقها ويظهر ذلك في قوله « يشرف شارع الهوة، العريض، المشجر، على الوادي والسهل والأنفاق ترشح الرطوبة ،ورؤوس الجبال النافلة فوق الهوة تطل عليها من علو أكثر من مئة وسبعين مترا ،تستخف بها ،ياله من مشهد خيالي ،وفي أدنى القاع، بعيدافي الأعماق، تتكسر مياه وادى الرومال فوق جسر مساقط المياه فتسمع زمجرتها كأنها احتجاج والصخرة ترتفع عمودية ،وإلى جهة الغرب ينساب طريق فيليفيل وهو يخترق الحمة Hamma وهي واحة فاتنة أطلق عليها الفرنسيون اسم نزهة، وعلى جانب الطريق عند خروجه من القرية، بإتجاه بيزو ،قبل أن يتابع سيره نحو البحر

[1] – مالك حداد ليس في رصيف الأزهار من يجيب ص138

[2] – المصدر نفسه ص 46

[3] – المصدر نفسه ص 140

يقع معسكر الإعتقال وإلى مالا نهاية يمتد الأطلس ،التالي وهو يشق الأفق ملاصق للطريق حتى ليخيل للمرء أن بإستطاعته لمسه بذراعه »[1].

إذن فإن خالد بن طوبال كان متعلقا جدا بمسقط رأسه رغم بعده عنه إلا أن تفكيره كان دائما في مدينة قسنطينة وكان ينتظر بشغف اليوم الذي يرجع فيه إليها .

- **8ماي 1945**:

تعتبر أحداث 8ماي 1945 أكبر مجزرة ارتكبها الاحتلال الفرنسي في حق الشعب الجزائري وهي بمثابة حدث لأنها كانت سبب في إشعال نار الثورة المجيدة فقد هزت كل الإمبراطوريات الاستعمارية فقد كانت عهد للتحرر السياسي: « لا يمكن اعتبار 8 ماي 1945 في الجزائر حدث منعزل ولا يمكن أن يكون كذلك على المستوى الدولي سواء قبل أو أثناء أو بعد هذا التاريخ ،قدمت الحرب العالمية الثانية على غرار الحرب العالمية الأولى لكن أكثر قوة وحدة تعجيل مؤكد لتاريخ الإنسانية في كل المستويات المختلفة ،إذ هزت الإمبراطوريات الاستعمارية عامة والإمبراطورية الفرنسية خاصة يبدأ بالتأكيد نحو ماي1945 عهد تاريخي جديد سمي بالعهد التحريري من الاستعمار، ولكن الأفضل أن نسميه عهد التحرر السياسي للشعوب المستعمرة »[2].

إن أحداث 8ماي 1945 هي بمثابة حدث تاريخي مجيد ولكنها ليست حدث منعزل عن الجزائر ولا حتى على الدول أخرى.

[1] – مالك حداد ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ص 138-139.

[2] – رضوان عيناد ثابت .8ماي 1945في الجزائر .ترجمة عيناد ثابت ومغيلي .ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر ص 155

إن مجازر 8ماي 1945 قد بدأت من عدة مناطق من أهمها سطيف قالمة وخراطة ومسيلة وقسنطينة فقد قامت فرنسا بأعمال فظيعة في حق الجزائريين فقد كانت أكبر مجزرة شهدتها الجزائر في حق شعبها عقب هذا الحدث المأساوي: « وجاءت مجازر أول والثامن مايو من سنة 1945 لتؤيد وجهة نظر الاستقلالين، تلك المجازر إلى ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من الجزائريين على يد المستوطنين الأوربيين ،في سطيف وقالمة وخراطة وقد اختار المستوطنون عن قصد أن تبدأ المجازر من مدينة سطيف التي شهدت ميلاد بيان حزب الشعب وصارت بذلك رمزا للمطالبة بالحقوق المشروعة للشعب الجزائري في تقرير مصيره ليرهبوا الشعبية ويسكتوها عن المطالبة بالحقوق وبتلك الأعمال الفظيعة التي ارتكبوها المستوطنون على أمل في إمكانية التفاهم والتعايش بينهم وبين الجزائريين وقدموا لهؤلاء الدليل القاطع أن لا أمل في الحصول على حقوقهم المشروعة عن طريق العمل السياسي السلمي، وبذلك دفعهم نحو الحل الجذري الوحيد الذي بقي أمامهم ألا وهو اللجوء إلى العنف واستعمال القوة للحصول على تلك الحقوق ،طبقا للمقولة الشهيرة ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بقوة ومنذ ذلك التاريخ شرع الوطنيون الجزائريون بالعمل في الإعداد الجدي للثورة المسلحة، التي اندلعت بعد أقل من تسع سنوات من تلك الأحداث المأساوية أي في الفاتح من نوفمبر 1945 »[1].

[1] – أحمد منور الأدب الجزائري بلسان فرنسي .نشأته وتطوره وقضاياه ص265.267

إن مجازر 8 ماي 1945 كان بمثابة فاجعة وحسرة فقد جعلت ساحات مليئة بالدماء حيث أسموها بالربيع الدامي ،وقد جسدت ذلك في الرواية من خلال قوله: « وكانت البلاد تعاني مشقة للرجوع إلى حالتها العادية بعد ربيعها الدامي »[1].

يعتبر هذا اليوم برهان على قوة جديدة جراء المأساة الوطنية التي شهدتها الجزائر ولقد اعتبر مالك حداد أن شهر ماي شهر شر 1945سنة شؤم ويظهر ذلك في قوله: « كانوا يحبون الجو الجميل الذي يخرج زهور مشتاقة إلى ماي شهر شر 1945سنة شؤم »[2].

تعتبر أحداث 8ماي 1945حدثا ومنعرجا، حاسما في تاريخ الجزائر لأنه يعتبر نقطة بداية تحول لترسيخ فكرة لابد من الاستقلال فبفضل هؤلاء الشجعان استطاعت الجزائر استرجاع سيادتها ،فقد أقدم الشهداء بإهداء أرواحهم في سبيل الوطن لكي يدافعون عنه ،فقد جعلوا من أنفسهم حاجزا بين العدو والجزائر لكي لا يستطيعوا أن ينالوا الجزائر أبدا.

هناك مقولة لعبد الحميد عبابسة في جريدة المجاهد: « يعتبر 8ماي 1945مدبحة التي لا يجب ألا ننساها.....نبكي الأعمال النارية التي ورثتها ... »[3].

أي من شدة وحشية هذا اليوم قال عبد الحميد عبابسة أنه يجب أن ننسا هذا اليوم.

وكذلك تذكر أيضا أسيا جبار: « بحساسية وبأسلوب خان تأثيرها المظاهر الاخرى المكبوتة أشد الكبت في ساحة البليدة. هل غير الوصف الروائي عند مؤلفته الحقيقية التاريخية ؟مقارنة مع الشهادة التي نقلها البابة

[1] – رضوان عيناد ثابت .8ماي 1945في الجزائر .ترجمة عيناد ثابت ومغيلي.ص159

[2] – مالك حداد رواية ليس في رصيف الأزهار من يجيب ص8ص.9.

[3] –ا مالك حداد رواية ليس في رصيف الأزهار من يجيب ، ص157

دافيزي عن أحد مناضلي هذه المدينة وتلك خاصة بعلي يحياوي،مسؤول حزب الشعب الجزائري في 1945يبين العكس .يعتبر الكاتب في هذه الحالة كاتب عمومي لشعب أمي .الأمل وانتظار هذا الشعب قد صور هكذا »[1].

أي أن الأدباء كذلك تأثروا جراء هذا الحدث المأساوي فأصبح الأدباء يعكسون صورة هذا الشعب

ولذلك الكاتب ياسين قد تأثر بشكل كبير نتيجة هذه المجزرة: « كل مؤلفاته يظهر تأثيره سواء في نجمة أو في الجثة المتوقة هل شارك في مظاهرة سطيف أو عاد وصف أحداثها بما يسمح؟ حقيقتنا قد شارك فيها »[2].

إن الكاتب ياسين جسد هذه الأحداث في كتاباته كأنه شارك فيها أحداث 8ماي 1945هي نتيجة لنضال وهي تعتبر فضل دامي لهذه العملية العفوية دفعت بكامل التراب الوطني ، بإنتفاضة المسلحة: « أن الفشل الدامي لهذه العملية العفوية ،تماما،المعينة دفعت المعنويات وحتمت التحضير المعنوي ،التنظيمي والمادي ولكن خاصة التوسيع عبر كل التراب الوطني الانتفاضة المسلحة .ضرورة العنف ولكن عنف منظم هو اذن درس مأخوذ من شهر ماي هذا لسنة1945، يعتبر هذا الشهر أيضا نتيجة لنوع معين من النضال "لجبهة "وطنية ،تلك الخاصة بأصحاب البيان والحرية ،من هنا تم الانشقاق .شهر ماي 1945سيقدم ميلاد لأحزاب مختلفة، تعمل على حدف وبانفصال عن الأخرى ولكن في آن واحد وسيوسع أيضا الوعي الوطني وشعور الإنتماء إلى الكيان واحد يعلوه رمز العالم الجزائري المرفوف ولأول مرة في كل المدن الرئيسية للبلاد »[3]

أي أن هذا الحدث هو سبب في الإنتفاضة جراء المجازر الدامية التي شهدتها الجزائر في أغلب ربوعها .

[1]– رضوان عيناد ثابت 8ماي 1945في الجزائر .ترجمة عيناد ثابت ومغيلي، ص 158 – ص159.

[2] – المصدر نفسه، ص 160.

[3] – رضوان عيناد ثابت 9ماي 1945في الجزائر ترجمة عيناد ثابت ومغيلي ص150

يعتبر 8ماي 1945 منعطفا حاسما في تاريخ الجزائر: « كان أول ماي و8 ماي والأيام التي تلت ،فرصة قنبلة العنف من طرف المجتمعين الأوروبي والمسلم بالنسبة للجزائريين الذي يجعلون من ماي 1945 منعطفا ،أنه بحق وخاصة القضية الوطنية المطروحة بالغة العنف والقمع إن الوعي والتأكيد على ضرورة العنف ضد الاستعمار أعطى حجم جديد لهذه الوطنية منقسمة ومفرقة كما أنه معروف ،كل هذه التقسيمات تبدوا أنها تعطي الحق إلى تصرف المعمرين ولكن الشيئ الذي لم يستطع هؤلاء أن يحققوه هو لأول مرة في الجزائر منذ نشأه الوطنية ،أي منذ الانتفاضة الأخيرة لبني شقران في 1914وفي الأوراس سنة 1916على الاقل لم يأخذوا هذا الشكل ولم يعتبرون العنف كحل للقضية الوطنية .مع العلم ،أن هذه الانتفاضات الأخيرة كانت مختلفة في النوع »[1].

تعتبر أحداث ماي قنبلة عنف من طرف الجزائريين وكانت إنتفاضة 8ماي 1945مختلفة عن الانتفاضات التي سبقتها ،فكانت الإنتفاضة الأخيرة من نوع مختلف جعلها توقد نار الثورة المجيدة .

- **الروح الوطنية :**

إن الروح الوطنية هي فخر قومي والتعلق بالوطن والتفاني والتضحية في سبيله رغم كل الصعاب لقد عرف خالد بن طوبال ،بوطنيته رغم بعده عن بلده ويقال عنه: « أنه كان وطنيا ربما كان هذا صحيحا وربما كان كذبا فالسياسة تبعث في نفسه السأم كدروس الحساب في المدرسة الابتدائية ،فقد كان جزائريا لأنه عرف نفسه جزائريا وكان جزائريا لأنه جزائريا »[2].

[1] – المرجع نفسه، ص149.

[2] – مالك حداد ليس في رصيف الأزهار من يجيب.ص35

إن حب وطنه كان مغروسا في أعماقه وتمسكه بوطنيته و : « قيل لخالد بن طوبال أن أشعاره كانت تقرأ في مراكز المقاومة وفي المعتقلات»[1] .

إن معظم كتاباته كانت تتحدث عن وطنه وأن أشعاره كانت تقرأ في مراكز المقاومة إلا أن تساؤل كان يراوده أنه ليس بدرجة المقاومين المسلحين الذين يدافعون عن بلده.

يصف خالد بن طوبال المستعمر بالوحوش لشدة ظلمها لبلده فقد كان ينتظر اليوم الذي تغادر فيه أرض وطنه و: « لكن عندما ترحل هذه الوحوش، الوحوش المأجورة، الوحوش القدرة ،الوحوش اليومية، الوحوش التي لاتشبه الوحوش والتي تستفيد جميعها بدرجات متفاوتة، وأيم الحق إلا أنها جميعا تستفيد من الوحشية الاستعمارية ولسوف ترحل جميع هذه الوحوش وتنصرف من هنا »[2].

كان خالد يؤمن بفكرة الاستقلال ،وأنه لابد من أن تأتي ذلك اليوم الموعود ويظهر ذلك في قوله : « أيها السلطان المستعاد، سلطان جميع الحقوق الإلهية ،إن الصباح سوف يأتي وهذه الجزائر التي يشتمونها في جميع تصرفاتهم اليومية سوف تذكرهم بأن الشقاق لا ينشأ أبدا من سوء التفاهم بل ينشأ من عدم الاعتراف وعدم الاحترام .وذات يوم سوف يكون الطقس على درجة فائقة من الجمال بحيث يغادر هؤلاء الحمقى البيت نظيفا، وينصرفون فليذهبوا »[3].

من حبه لوطنه كان يسر عندما يسمع خبرا عن الثورة وكان لديه إحساس أنه عما قريب ستنتهي الحرب وترجع الأمور كما كانت عليه قبل الاستقلال: « أنا مسرور ربما لأن الشتاء يشرف على نهايته ،وإن الحرب

[1] – المصدر نفسه، ص36.

[2] – مالك حداد ليس في رصيف الأزهار من يجيب ص36

[3] – المصدر نفسه ص.37

تنتهي عما قريب ،وأن الموت سوف يموت، ربما لأن الرواية الأخيرة تتقدم تقدما حسنا كذلك، وإن القطرب سوف يرجع مرة أخرة هذا الصيف وإن الشقاء ليس مؤكد ولا أبديا .....كان تفاؤل خالد يولد من جديد في الأشجار وينمو مع الأشجار ومن ثم فللألم حدوده، ثم هناك الله »[1].

وكان خالد بن طوبال يعتبر البلد قبل كل شيء، هي أولى اهتماماته وكان من المنفعلين والثائرين وكانت أغلب أشعاره مخلصة وسخية اتجاه بلده ،فكان حب وطنه يسكن في أعماق قلبه وكان دائما في أتم استعداد من أجل التضحية في سبيل وطنه .

إن حرب الجزائر لم تبدأ في الفاتح من نوفمبر بل كانت قبل ذلك ،إن حب خالد بن طوبال للجزائر حبا ليس له مثيل في قوله: « ولد هذا الحب في بلاد المحاربة ،لأن حرب الجزائر لم تبدأ في الفاتح نوفمبر 1954،كان هذا الحب رصينا ،حازما، منتصرا، كالحرب وهو كالحرب كان يبتغي السلام ،هكذا نشأ منطق هذا الحب من طموحه الوحيد إلى إسلام »[2].

إن حب البلد وحب المحاربة من أجل الاستقلال لم يولد في ثورة المجيدة وهي الفاتح من نوفمبر بل منذ إن دخل الاستعمار ،بدأ في نفس كل مواطن جزائري لا بد من الاستقلال ،فهو الوطن الذي يجب أن نضحي من أجله بالغالي والنفيس ،من أجل قهر العدو والتحرر من قيوده، واسترجاع الجزائر لتكون بلد الحرية والأمان والاستقرار .

[1] – مالك حداد ليس في رصيف الأزهار من يجيب ص 77.ص78

[2] – المصدر نفسه، ص39

- **الوفاء للزوجة :**

يعتبر خالد بن طوبال رمزا للوفاء لأنه ظل وفيا لزوجته رغم كل إغراءات المرأة الفرنسية إلا أنه رفض الخيانة ،وكانت زوجته دائما في مخيلته ويعتبر أن حبه لوريدة وتفكيره بها يهدئ من روعه و يشد عزيمته ويظهر ذلك في قوله: « في الروايات يجعل الإنسان الأمر في حالة أحسن وأكثر جمالا فهو إذن يغش وهذه طريقة للاعتذار آخر الأمر وعلى هذا فإن خالد يحتمل الحرب كأنه وجع في الدماغ ،والأسبرين غير موجود يا عزيزي، الأسبرين غير موجود ،فهو لا يحارب ولكنه يقاسي ،الحرب غير أن حب وريدة يعاوده ،فيهدئ روعه ويشد عزيمته، فالمحبوب يعرف أن يموت المحب يعرف الموت كذلك »[1].

يعتبر خالد بن طوبال الحرب كأنه وجع في الدماغ ولكن لا يوجد أسبرين لكي يخفف هذا الوجع إلا أن تفكيره بوريدة يخفف عنه هذا الوجع أي من حبه لها اِعتبرها دواء لوجعه .

إن خالد بن طوبال لم يشك يوما في حبه لزوجته « ويبدأ خالد بن طوبال قصته فهو لم يشك أبد في هذا الحب الذي يهبه وفي هذا الحب الذي يلقنه، وهذا الملاك الشرير الذي له مع ذلك أجنحة الزرقاء الذي يدنو منه ويوشوشه في أذنه : حبك في مأزق ،هناك بين السلاسل الجبال هذا الملاك ينطق شعرا ،وهذا يثبت أن جناحيه أزرقان .....وينشرح صدر الكاتب بن طوبال أنه يبصر زوجته وهي تؤدي أعمالا جليلة »[2].

ومن حبه لها كان يراها وهي تقوم بأعمال وهذا دليل على أنها لاتغادر مخيلته أبدا.

[1]- مالك حداد .ليس في رصيف الأزهار من يجيب .ص42

[2]- المصدر نفسه ،ص.51

إن خالد بن طوبال كان يصلى من أجل زوجته ومن أجل الجرحى: « كان خالد عندما يجافيه النعاس يتخيل وريدة في حياتها الجديدة فيحلم أحلام اليقضة وسط الملاحم، لم تكن أحلامه إلا بطولة وحنانا ومن خلال الجبال الزرقاء التي تصون سرهم ،غيورة من سموهم شاعرة برفعتهم ،كان يستنشق طيف زوجته وهي تعتني بالجرحى وتواسي المحتضرين فيصلى من أجلها ويصلى من أجل رفاقها وخاصة أنه يصلى من أجلها »[1].

من دليل حب خالد بن طوبال لزوجته وريدة هو وفاءه لها برغم البعد فبدون وفاء لا يوجد حب

إن أكثر ما يحدد على أن خالد بن طوبال يحب زوجته وريدة هو وفاءه واشتياقه لها لأنها كانت تدور دائما في مخيلته ويظهر ذلك في قوله: « كان خالد لايزال يتخيل زوجته ،وريدة زهرته، زهرته الصغيرة التي تزهر بها جميع القمم »[2].

إن خالد قد اتسم برمز الوفاء فقد كان وفيا لبلده رغم النفي والبعد وكان أيضا وفيا لزوجته رغم الإغراءات، وإن زوجته كانت دائما في مخيلته لم تفارقه أبدا ،فإن أساس كل حب هو الوفاء فإن خالد بن طوبال كان يحب زوجته ،إن الحب هو الحياة لقلوب ميتة إن قلب خالد بن طوبال كان حيا بحبه لزوجته وريدة ،ولم يفكر خالد ولو حتى في مخيلته أن يخون زوجته برغم أنه بعيد عنها إلا أنها كانت دائما حاضرة بقلبه وروحه.

[1] – مالك حداد .ليس في رصيف الأزهار من يجيب ص 57

[2] – المصدر نفسه ص63.

إن خالد بن طوبال كان وفيا لزوجته رغم محاولات مونيك في إغراءاتها المتكررة لخالد: «كاد خالد يفقد توازنه عند المنعطف، الا أنه عدل باحكام فمس ،وهو يستعيد توازنه،الشجرات الكبار التي تحاذى الطريق ،مسا رقيقا.وتشاركت عجلات السيارة. ذلك أن مونيك كانت قد لثمت يد خالد.وفي نيتها بقية تتلو... لقد اخطرتك بانني سأقبل ذات يوم هذه اليد التي تكتب ...والتي تقود حاليا، تمتم خالد، ولكنه في الحال لام نفسه على الرقة التي أخذت تسري في جوانحه ،كان شعر مونيك يفوح بضرب من السحر. ثم قالت برزانة عجيبة القيادة و الكتابة، هما شيء واحد، أليس كذلك ؟ بشرط ألا ينزلق المرء خارج الطريق يامونيك كويدج، هذا بتحديد باسم العائلة بدا و كأنه يعاكس رغبة الزوجة الشابة »[1].

لقد كانت مونيك تحاول لفت إنتباه خالد بن طوبال ولكنها لم تستطع فحاولت تقبيل يده عندما كانت معه في سيارة، فخاطبها خالد بشرط ألا ينزلق خارج الطريق يامونيك كوديج عندما قال هكذا خالد ليوضح لها أنها على أسم شخص أخر لتتوقف عن محاولتها للإغرائه.

[1] – مالك حداد ليس في رصيف الأزهار من يجي، ص 25

الإنتماء القومي ودوره في ترسيخ الهوية

إن الإنتماء القومي له دور في ترسيخ الهوية، وذلك من خلال اللغة العربية والعروبة فهما يعتبران من المقومات الأساسية لبناء الشخصية الوطنية، وكذلك عنصر من العناصر التي تحافظ على وحدة المجتمع وتماسكه.

أ/ اللغة العربية

إن اللغة العربية من أهم اللغات و أحد الركائز الأساسية لمفهوم الهوية. ففي الاعتقاد البسيط أن اللغة ليست سوى وسيلة اتصال، لكنها تلعب أدوارا أكثر أهمية من ذلك، وهذا ما أشار إليه الشريف كرمة بقوله:«إن اللغة فكر و وجدان و إرادة، تتجلى في المهارات و تؤدي وظائف التفكير و التعبير والتواصل» [1]

اللغة في رأي الشريف كرمة ليس فقط وسيلة للتواصل ونقل الأفكار، و إنما هي أيضا فكر و ضمير للمتحدث بها.

حظيت اللغة العربية بأهمية واسعة و كبيرة من قبل المسلمين لأنها لغة القرآن الكريم، لقوله تعالى: « إنَا أنزَلنَاهُ قُرآنًا عَربيًا لَعلَكُم تَعقلُون» [2]، و قال عز وجل: «وَ كَذلكَ أَنزَلنَاهُ قُرآنًا عَرَبيًا» [3].

للغة العربية مكانة عظيمة و راقية و يمكن الاعتزاز بها لأن الله عز وجل اصطفاها لكتابه الكريم.

[1] – الشريف كرمة، اللغة العربية و علاقتها بالهوية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم "الجزائر"، العدد السادس، 2006، ص42.
[2] – سورة يوسف، الآية (02).
[3] – سورة طه، الآية (113).

تعد اللغة العربية ظاهرة اجتماعية، لأنها من العناصر الأساسية التي تحافظ على تماسك المجتمع ووحدته، فهي محورا أساسيا في بناء الفرد، و هذا ما أكدته الدكتورة خضر بقولها: «اللغة هي وسيلة التحاور و التخاطب بين شتى فئات المجتمع على تباينها فهي تقطع المسافات و تصل بين الأجيال والشعوب: و هي لهذا بمثابة العمود الفقري لوحدة الأمة واللحمة الأساسية وراء تماسكها باعتبارها الحجر الأساسي في الإنتماء».[1]

تكمن أهمية اللغة بالنسبة للدكتورة خضر في أنها تمثل العمود الفقري لوحدة الأمة، و كذلك صلة وصل بين الأجيال، حيث اعتبرت الإنتماء ركن أساسي للغة.

إن اللغة ذاكرة الأمة و تاريخها، فهي تبرز أهميتها من خلال علاقتها بمفهوم الهوية، لذا فالبحث في الهوية لن يكتمل دون مراعاة اللغة، لأنها تعتبر: «أداة ووسيلة وعي الأمة التاريخي للتعبير عن تاريخها، و بقدر إضعافها يضعف هذا الوعي، و المحافظة عليها هو تدعيم لوجود الأمة و تأكيد لسيادتها ورفضها لمحاولة إلغائها أو احتوائها أو تجاهل خصوصيتها الذاتية وشخصيتها القومية».[2]

أي أن اللغة مرتبطة بشخصية الأمة، عندما تتأثر اللغة سواء بشكل سلبي أو إيجابي، فقد تنعكس على شخصية و هوية الأمة.

[1] – لطيفة إبراهيم خضر، هويتنا إلى أين؟ عالم الكتب، ط01، القاهرة 2009، ص244.
[2] – المرجع نفسه، ص244.

تعد اللغة مكونا أساسيا في بنية الهوية الوطنية، لأنها تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، لهذا فالبحث في اللغة يتطلب البحث في الإنسان نفسه، وهذا ما وضحه ليفي ستراوس في كتابه الآفاق الحزينة Tristes Tropiques «..إننا حيث نقول الإنسان (..) فإننا نعني اللّغة، وحيث نقول اللغة فإننا نقصد المجتمع»[1].

بمعنى أن اللغة والإنسان لها علاقة تكاملية لا يمكن الفصل بينهما، فبدون إنسان لن تكون هناك لغة على الإطلاق.

لقد فرض الاستعمار الفرنسي لغته على المجتمع الفرنسي، و هذا ما جعل المجتمع يفقد كل مقوماته وهويته المتميزة فلقد: « كان المنظرون الاستعماريون يؤكدون أن الإسلام و اللغة العربية هما ركيزتا هذه الشخصية، فقد حاولوا أن يهدموا الركيزة الثانية بإحلال اللغة الأجنبية محل اللغة العربية للقضاء على الذاتية».[2]

سعت فرنسا جاهدة إلى تدمير كل مكونات اللغة العربية، فقد حاولت استبدالها بلغة المستعمر (الأجنبية)، و هذا كله من أجل القضاء على الهوية الجزائرية و جعل اللغة الفرنسية لغة رسمية في الجزائر.

اتخذت فرنسا عدة سياسات لمحارية اللغة العربية كتجهيل و الفقر و الحرمان، إلا أنها لم تنجح في ذلك فاعتمدت على طريقة جديدة و هي قمع الشعور بالإنتماء للأمة العربية، من خلال: «محاولة المستعمر

[1] – أحمد أبو زيد، "ليفي ستراوس عميد البنائيين في فرنسا"، مجلة العربي، العدد 293، أفريل، وزارة الإعلام الكويت 1983، ص80.
[2] – عبد الكريم غلاب، التعريب و دوره في تدعيم حركات التحرر في المغرب العربي و الوحدة العربية، بيروت 1982، ص154.

أن يكبت شعور الإنتماء إلى الأمة العربية بالحديد والنار، و لكنه لم يتمكن من استئصال اللغة القومية، لا سيما أنه ضيق على المحكومين وسائل التعبير الأخرى، فبرزت اللغة العربية كسلاح ماض في معارك التحرير و كوسيلة للتخلص من تبعية المستعمر الذليلة، و من الحكم المتسلط الفاسد».[1]

بالرغم من محاولات المستعمر الفرنسي لإزالة اللغة العربية و تدميرها، و جعل لغته الأجنبية محلها، إلا أنها بقيت محافظة على وجودها.

أحدثت قضية اللغة تساؤل كبير أثناء وجود العدو الفرنسي داخل الجزائر، وهذا ما وضحه مالك حداد في روايته « ليس في رصيف الأزهار من يجيب» حينما سأل الصحفي خالد بن طوبال عدة أسئلة حول: «المكانة التي ستحظى بها اللغة الفرنسية في جزائر الغد، في رأيكم؟» [2]. و«أهناك من يكتب بالعربية بين الكتاب الجزائريين؟»[3].

و « هل يساور الكتاب الجزائريين جميعهم، هاجس ما تسمونه بمأساة اللغة كما يساوركم؟»[4].

رأى مالك حداد في تلك الفترة «أن الجزائري لم يعد يشعر بلغته، بل انغمس في لغة المستعمر لدرجة أن الكثير تساءل هل الجزائري يجيد العربية و يكتب بها أم أنها أصبحت في خبر كان.

[1] – ريمون طحان، اللغة العربية و تحديات العمر، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1984، ص26.
[2] – مالك حداد، رواية "ليس في رصيف الأزهار من يجيب"، ترجمة ذوقان قرقوط، آفاق الكتابة، ص45.
[3] – المصدر نفسه، ص45.
[4] – المصدر نفسه، ص46.

استخدمت فرنسا كل الأساليب لفرض لغتها على المجتمع الجزائري، و القضاء على اللغة العربية، حيث حاولت المقارنة بين اللغتين (العربية و الأجنبية) لكنها لم تستطع فعل ذلك. و هذا ما جاء على لسان هواري بومدين في قوله: «لا مجال للمقارنة و المفاضلة بيت اللغة العربية و أي لغة أجنبية أخرى فرنسية أو إنجليزية لأن الفرنسية كانت و ستبقى مثلما بقيت في ظل الاستعمار لغة أجنبية لا لغة الجماهير الشعبية».[1]

رغم كل السياسات التي استعملها الاستعمار داخل الوطن الجزائري إلا أن لغته ستبقى أجنبية لا يمكن مقارنتها مع اللغة العربية، لأن هذه الأخيرة كانت و ستبقى لغة الشعب الجزائري.

للغة مكانة عظيمة لأنها من أبرز مقومات بناء الشخصية الوطنية، و عنصرا أساسيا في تكوين الهوية لهذا: «فالعربية في هذه البلاد لم تكن ولن تكون إلا لغة البناء والجهاد و الشهادة، و لم تكن الفرنسية و لن تكون إلا لغة الهدم و اللصوصية و الخيانة و ضرب الأمة في الأصل تجتمع عليها أصولها و هو الإسلام». [2]

أي أن اللغة العربية في الجزائر ستبقى لغة الإستشهاد و البناء، على عكس لغة العدو الفرنسي التي تعتبر لغة لسرقة و الغدر و ضرب الأمة.

خاض الاستعمار الفرنسي معركة للقضاء على اللغة العربية في الجزائر، فسعى إلى نشر الفرنسية كلغة تعليم حيث جعل: «التعليم أيام الحكومة الفرنسية استعماريا بحتا، لا يعترف باللغة العربية و لا يقيم

[1] – هواري بومدين، الخطاب الإفتتاحي لندوة التعريب الأولى في الجزائر، بتاريخ 1975/03/14.

[2] – مصطفى محمد الغماري، العربية بين المفهومين، جريدة الشروق الثقافي، العدد 06، الجزائر 1963، ص19.

لوجودها أي حساب، فاللغة الفرنسية هي وحدها لغة التدريس في جميع مراحل التعليم» [1]، أي أن المستعمر قام بمحاربة اللغة العربية بكل قوة، لجعل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في الجزائر.

تعد اللغة العربية من المكونات القومية العربية، فهي أساس هوية هذه الأمة و رمز لوجودها الحضاري لهذا: «فاللغة القومية تعتبر بمثابة الوعاء الذي تتشكل به وتحتفظ فيه، و تنتقل بواسطة أفكار الشعب: إن لغة الآباء و الأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر و التقاليد و التاريخ والفلسفة و الدين، فقلب الشعب ينبض في لغته و روحه و تكمن في بقاء هذه اللغة» [2]

أي يجب على الشعب أن يتمسك بهذه اللغة لأنها بمثابة القلب و الروح للأمة.

إن اللّغة صفة إنسانية أصيلة تميز الإنسان عن سائر المخلوقات، إنها لغة العرب، و لغة القرآن الكريم، و أعظم رسالة سماوية للناس كافة و للأمة العربية على وجه الخصوص و هذا من خلال: « ما لها من إرتباط بالقرآن الكريم و من تراث فكري و روحي و هي أقدر شيئ على حفظ الشخصية العربية و ملامح العروبة» [3].

أي أن اللغة لها منزلة رفيعة و يمكن الإعتزاز بها لأنها حافظت على الطابع العربي و خصائص العروبة.

[1] – أحمد توفيق المدني، جغرافيا القطر الجزائري، مكتبة النهضة، الجزائر، 1963، ص138.ب

[2] – ساطع الحصري، ماهية القومية، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط)، ص56

[3] – إبراهيم محمود، اللغة العربيةفي مؤسسات التعليم العالي و الجامعي، الموسم الثقافي السادس، مجلة المجمع اللغوي الأردني، عمان، الأردن،1988، ص8.

إن اللّغة العربية لها اعتبار مهم، لأنها تمثل المضمون الروحي للهوية العربية: «فالهوية ترتبط باللغة لذلك كان عنصر الإعتزاز باللغة إعتزازا بالإنتماء القومي و من يتخلى عن إنتماءه القومي و عرقه وأصله فكأنه جسد بلا روح».[1]

للغة دور مهم في تعميق الشعور بالوطن، لذلك استهدفها المستعمرون الفرنسيون، حيث وجدت عدة أسباب أدت إلى إضعافها نذكر منها:« قلة النتاج الثقافي و العلمي في اللغة العربية مقارنة بغيرها من اللغات الأخرى، و قد أدى ذلك إلى أن الباحث العربي يجد ضالته و احتياجاته العلمية في المصادر الأجنبية من الكتب و مجلات علمية و مواقع إلكترونية أكثر من لغته العربية».[2]

أي أن المستعمر الفرنسي اتخذ عدة أساليب لمحاربة اللغة العربية و تهميشها، حيث جعل الباحث العربي يجد كل ما يحتاجه في الكتب و المجلات الأجنبية، أكثر من لغته الأم.

كان هناك انتشار للغة الفرنسية في الجزائر، و هذا ما جعل الأدب الجزائري يكتب بالقلم الأجنبي، حيث طرحت إشكالية ازدواجية اللغوية و هذا ما أشار إليه Cherles Bonn على أن الأدب: «مزدوج الهوية لكونه يحمل في جوفه الهوية الأوروبية في الوقت ذاته الذي يحمل فيه الهوية العربية و لكونه قد تغذى من الثقافتين، الغربية و العربية في آن معا، و لا نستطيع تحديد الأولى إلا بالثانية غير أن الحضور

[1] – الشريف كرمة، اللغة العربية و علاقتها بالهوية، ص52.

[2] – د.باسم يونس البديرات، د.حسين محمد البطانية، اللغة و أثرها في تحذير الهوية العربية و الإسلامية في عصر العولمة، مجلة مقاليد، جامعة الحصن أبوظبي، جامعة البلقان،الأردن، العدد 10، جوان2016.

الأيديولوجي هو الذي يحتم عليه تحديد قوميته أو هويته العربية الجزائرية دون الإشارة في اللغة، و هذا التحديد لا يمكن أن يكون أي معنى إلا في حضور العنصر الأجنبي المتمثل في اللغة والثقافة العربية».[1]

فالأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية هو عبارة عن هوية مزدوجة، لأنه تشبع من الثقافتين الغربية و العربية في نفس الوقت.

إن اللغة العربية لها علاقة وثيقة مع الهوية، حيث تعتبر هذه الأخيرة وظيفة أساسية للغة، و هذا ما أشار إليه الفيلسوف الألماني "فيخته": «إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يشكلون كيانا واحدا متكاملا بروابط متينة و إن تكن غير مرئية».[2]

بمعنى أن للغة دور فعال في المجتمع، فهي التي تجمع الأم و الشعوب حتى لو كانت مرئية.

[1] -Bonn Charles, la situation algerienne et conscience national, après l'indépendance, paris, note librairie n°85 oct.dec 1986, p36.

(نقلا عن ، قادا مبروك، المخيال والأدب، إشكالية الإنتماء القومي للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، سبتمبر-ديسمبر 1999، ص10.)

[2] -Suleiman.y, the arabic and national indenty, georgetownuniversitypress, washingtonDc, 2003, p31

(نقلا عن باسم يونس بديرات، جامعة الحصن أبو ظبي، حسين محمد البطانية، جامعة البقاء الأردن، مجلة المقاليد العدد 10، جوان 2016، اللغة وأثرها في تجذير الهوية العربية والإسلامية في عصر العولمة ، ص35).

ب/ العروبة

تعتبر العروبة من القضايا الأساسية التي تشغل رأي الكتاب و النقاد و المثقفين لأنها تمثل رابطة اجتماعية و سياسية التي تعني انتماء الشخص إلى أمة معنية فالبشير الإبراهيمي: «لم يكن عالم الجزائر و غمامها لوحدها بل كان ضميره و عقله يعمل و ينتج للعرب و المسلمين جميعا، و قلمه يكتب عن الحجاز و المدينة المنورة و بلاد الشام، و قد خصّ القضية الفلسطينية بأوفر ما كتبه كاتب مغربي، كما كتب عن مصر و العراق و عن أقطار المغرب العربي، تونس و المغرب الأقصى و ليبيا، كل ذلك من أجل تأكيد اللّحمة العربية انطلاقا من شعوره بالإنتماء إلى الأمة العربية و إنتماء الشعب الجزائري إلى هذا الوطن الأرحب الذي يمتد من المحيط إلى الخليج، و من هذا المنطلق يتوحد مع كل القضايا العربية التي تأتي في مقدمتها قضية فلسطين». [1]

فالبشير الإبراهيمي لم يكتفي بالكتابة عن بلده فقط، و إنما امتدت كتاباته لتشمل الكثير من قضايا و مشاكل العالم العربي، و هذا كله من أجل شعوره بالإنتماء إلى الأمة العربية.

بالرغم من بعد خالد بن طوبال عن وطنه، و مكوثه في بلاد غير عربية، إلا أنه بقي محافظا على روح النزعة الوطنية و يظهر ذلك من خلال: « قول مونيك لخالد إني لأعجب يا خالد من أنك لم تهد قصيدة

[1] – لويزة حوفاف، نداء القومية و اشكالية العروبة في آثار مُحَّد البشير الإبراهيمي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرة–الجزائر، العدد 12، 2016، ص295.

من قصائدك أو كتابا من كتبك إلى زوجتك، هل كانت مخاتلة؟ هل كانت غيورة؟ لا أهمية لذلك، أنا عربي يا مونيك و الحياء يمنعني من ذلك». [1]

أي أن خالد رغم حبه لزوجته إلا أنه لم يهدي لها قصيدة من قصائده، لأنه كان يغار عليها، فالغيرة لا توجد إلا في خصال الشخص العربي المحافظ.

أكد الكتاب الجزائريون على الوحدة الوطنية العربية، من بينهم البشير الإبراهيمي الذي عبر عن حزنه و ألمه و ما وصلت إليه الأمة الإسلامية، حيث نجده: «يعالج الواقع الذي أحدثه الاستعمار من تمزق و تفرق في المجتمعات العربية و الإسلامية عامة و الجزائر خاصة».[2]

كان البشير الإبراهيمي قلق من الواقع المأساوي الذي خلفه الاستعمار الفرنسي في المجتمعات العربية، بما في ذلك الجزائر.

إن الحفاظ على الألبسة المستورة من خصال المرأة العربية، و هذا ما أشار إليه مالك حداد في روايته « ليس في رصيف الأزهار من يجيب » : «النساء العربيات هنا، لا يرتدين مثل هذه الثياب».[3]

أي أن للعرب ميزة تميزهم عن باقي العالم وهي المحافظة على لباسهم المحتشم، لأن الله تعالى أمر به.

[1] – مالك حداد، رواية "ليس في رصيف الأزهار من يجيب"، ترجمة ذوقان قرقوط، آفاق الكتابة، ص60.

[2] – مُحَمَّد درق، ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب المقال عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مذكرة ماجستير في اللغة و الأدب العربي، إشراف زين الدين مختاري، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2009-2010م، ص114.

[3] – المصدر السابق، ص53.

رغم أن خالد بن طوبال ذهب إلى بلد المنفى غير بلده العربي، إلا أن عقله لم يكن متحررا من التفكير في الجزائر والبلدان المشابهة لها ويظهر ذلك في قوله: « ثم أدرك، بينما كان مولاي، Moulay، يغني أن الصحراء تحتاج إلى ورود، وأدرك أن وطنه سيبعث من كل ناحية، و أدرك كذب وحوش الغبراء، أن الريح تهمس في أذنه.لا تقل أبدا أن الجزائر تفتقر إلى الماء، ها هو ذا دمى. من أجل جزائره المحبوبة و من أجل البلدان الشبيهة بالجزائر في العالم، أراد كواكب أكثر قربا »[1].

بمعنى أن خالد بن طوبال رغم منفاه و تغربه عن أرض وطنه، إلا أنه مستعد للتضحية من أجل بلاده الجزائر و من أجل الدول الشبيهة ببلاده.

العروبة هوية ثقافية موحدة لذلك دافع عنها الأدباء العرب، كما دافعوا عن الكتابات الروائية الجزائرية: « فالروايات الجزائرية في قولهم إنها روايات عربية مترجمة إلى الفرنسية لأنها كانت تحمل بصدق آلام هذا الشعب فمن العيب ضرب هذه الإنجازات الأدبية التي أوصلت قضية الجزائر خارج الحدود المحلية». [2]

بمعنى الروايات الأدبية وصفت لنا وحشية الاستعمار الفرنسي داخل الوطن، لأنها حملت آلام الشعب الجزائري، لذلك من العار أن تتعرض هذه الأعمال للضرب لأنها جلبت القضية الجزائرية خارج الحدود المحلية.

[1] – مالك حداد، رواية " ليس في رصيف الأزهار من يجيب "، ترجمة ذوقان قرقوط، أفاق الكتابة ، ص143.

[2] – واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ط01، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1986، ص71.

خاتمة

وفي نهاية هذا البحث المتواضع توصلنا إلى جملة من النتائج كانت كالتالي :

-يعتبر الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية حديث النشأة، مقارنة للأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية.

-حاول الاستعمار الفرنسي فصل الشعب الجزائري عن لغته وثقافته ودينه ، وفرض لغة وثقافة غريبة عن هذا الشعب.

-الظروف التي فرضتها فرنسا لمحاربة اللغة العربية ،وفرض اللغة الفرنسية دفعت الكتاب الجزائريين إلى دراسة تلك اللغة لتصوير واقع الحياة في الجزائر.

-شهد الأدب المكتوب باللغة الفرنسية في فترةمابعد الاستقلال تطورا كبيرا في موضوعاته وأشكاله.

-اتخذ الأدب الجزائري المكتوب بلسان الفرنسي خلال مرحلة الاستقلال موضوعا رئيسيا جديد ،وهوالمقاومة والثورة والحرية ،ودارت معظم الأعمال الأدبية حول هذه الموضوعات.

-استمد الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية موضوعاته ومحتواه من واقع الشعب الجزائري.

-اتخذ الكتاب الجزائريون اللغة الفرنسية كأداة للتعبير ،وسلاحا من أسلحة المعركة .

-إستطاع الكتاب الجزائريون جعل اللغة الفرنسية ،لغة تساعدهم في التعبير عن دينهم وأفكارهم وتقاليدهم بدلا من سلبهم قيمتها كما أرادتها فرنسا.

-كانت اللغة الفرنسية أهم عامل ساعد الجزائريين على فرض أنفسهم ،وبالتالي لم يستطع الاستعمار حرمان الجزائريين من قيمهم وتقاليدهم .

-بعد استقلال الجزائر تطور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ،وبرزت إشكالية هوية الأدب وإلى أي جانب ينبغي أن ينتمي وطريقة تصنيفه .

-إن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية برغم أنه كتب باللغة غير العربية إلا أن محتواه يتعلق بالجزائر والثورة المجيدة و الواقع المؤلم الذي عاشه الشعب الجزائري .

-تعالج رواية ليس في رصيف الأزهار من يجيب موضوع مساهمة المثقفين المغتربين اتجاه الثورة .

-كان خالد بن طوبال مخلصا لوطنه وزوجته رغم المنفى وإغراءات المرأة الفرنسية.

-إن ظاهرة اللغة العربية والعروبة كان لهما دور في ترسيخ الهوية الوطنية، كما أنهما ساهما في تحقيق الإنتماء القومي للأدب الجزائري .

-تعتبر اللغة العربية والعروبة من مقومات بناء الشخصية الوطنية .

ملاحق

- نبذة عن الكاتب مالك حداد

ولد الشاعر و الروائي مالك حداد في الخامس من شهر جويلية سنة 1927م، في مدينة قسنطينة و فيها تلقى علومه الإبتدائية و الثانوية، و كان متفوقا على أقرانه، إذ أنه يجيد الفرنسية بحكم وجود الاستعمار الفرنسي، و لذلك كان مرغما على تعلمها، لأنه إستطاع من خلال هذه اللغة أن يفجر من كلمات ثورة، أو يسافر مالك بعدها إلى فرنسا لمتابعة دراسته الجامعية، ثم يعود إلى وطنه، و يشاهد بأم عينيه مجازر الدم في "سطيف، قالمة، خراطة" و يعتبر أن تاريخ ميلاده يبدأ من هنا...من حمامات الدم في صباح الثامن من عام1945م.

لما قامت ثورة نوفمبر 1954 كان مالك حداد واحد من أولئك الثوار، و عضو في جبهة التحرير... و ذات يوم تقتحم مجموعة من الجيش الفرنسي منزله، و تضطره إلى النفي و التشريد، فيغادر الجزائر متوجها إلى أوروبا، و في يمناه كتاب الثورة، و في فكره هم الجزائر ليشارك في الصحافة الأجنبية بالدفاع عن عروبة الجزائر.

و في صبيحة الاستقلال عاد إلى أرض الوطن بعد أن حمل المستعمر عصاه و رحل مرغما.

و في مدينة قسنطينة يتابع رحلته الأدبية في الكتابة و النشر في الصحافة الوطنية، و كان يغذي جريدة (النصر) و ذلك من خلال صفحتها الثقافية إلى أن عين في شهر أفريل من عام 1968م مديرا للثقافة بوزارة الثقافة و الإعلام، ثم مستشارا مكلفا بالدراسة و البحث في مجال الكتابة باللغة الفرنسية،

إضافة إلى إشرافه على نتائج مجلة (آمال) عندما كانت تصدر باللغتين العربية و الفرنسية، كما أنتخب أمينا عاما لإتحاد الكتاب الجزائريين.

و يداهم المرض مالك حداد و يبدا الصراع بين الأديب و الداء، و في صبيحة يوم الجمعة الثاني من شهر جوان 1978م تنتهي رحلة مالك حداد في الحياة و ينتقل جثمانه من مستشفى "مصطفى الجامعي" في الجزائر العاصمة إلى قسنطينة، و كان آخر ما كتبه في الشعر «نبل الرمال.«

لقد ترك مالك حداد مجموعة من الأعمال الأدبية في الشعر و الرواية، و كانت هذه الأعمال محصورة بين 1956-1961م، و هذا ما يؤكد أن نتاج أديبنا الراحل يمثل فترة ما بين قيام الثورة الجزائرية و الإستقلال.

فمن أعماله في الشعر :

- ❖ الشقاء في خطر.
- ❖ أسمع و سأناديك.

و في الرواية نذكر :

- ❖ الإنطباع الأخير.
- ❖ سأهبك غزالة.
- ❖ التلميذ و الدرس.

❖ رصيف الأزهار لا يجيب.

و قد ترجم معظم هذه الاعمال إلى اللغة العربية، وكانت له دراسة أدبية أخرى بعنوان «الأصفار التي تدور في فراغ».[1]

[1] - أحمد د وغان ، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر.

- **تلخيص رواية ليس في رصيف الأزهار من يجيب**

إن رواية ليس في رصيف الأزهار من يجيب تدور حول حياة صديقين منذ الطفولة ،درسا في ثانوية قسنطينة ،وهما خالد بن طوبال صحفي وكاتب يواجه المنفى من الجزائر إلى فرنسا في فترة استعمار ،وصديقه سيمون كويج القاطن في فرنسا وهو محامي لدى المحاكم .

وكان من المنتظر أن يلتقي خالد بن طوبال مع صديقه سيمون كويج في محطة ليون في باريس أين سيستقبل سيمون كويج خالد بن طوبال فور وصوله إذ أرسل خالد برقية يخبر بها صديقه عن مجيئه وكم كانت خيبة أمل خالد بن طوبال كبيرة لدى وصوله لأن صديقه سيمون ليس في المحطة.

في أحداث هذه الرواية نسافر بين ذكريات خالد بن طوبال من مرحلة الطفولة في قسنطينة ،وكذا ذكرياته مع عائلته ويبين ما يحدث مع خالد في منفاه في باريس مع صديقه سيمون و عائلته .

لقد أصبح اهتمام مونيك زوجة سيمون وإعجابها بخالد بن طوبال صار واضحا وعلى الرغم من استعمالها لجمالها ومحاولتها لجذبه بكل الطرق لكن خالد بن طوبال رفضها للأنه. كان وفيا لنفسه وصديقه سيمون وزوجته وريدة، برغم من بعده عن وطنه إلا أنه كان دائما وفيا لوطنه وكانت كتاباته تقرأ في مراكز المقاومة والمعتقدات.

كان خالد بن طوبال تفكيره في زوجته التي بقيت في الجزائر مع أطفالهما الثلاثة. لقد سافر خالد بن طوبال إلى صديق أخر له، وخلال هذه الرحلة إذ بخالد يسمع بأن زوجته قامت بخيانته مع ضابط فرنسي وقد عرف بذلك عندما قرأ الخبر الذي نشر في إحدى الصحف وفي هذه الجريدة قرأ مقتل شخصين على يد مسلمين جزائريين وتلك كانت وريدة مع عشيقها الظابط الفرنسي ،وعندما علم خالد بن طوبال بخيانة زوجته وريدة أصبح يفكر بانتحار للأنه لم يتقبل فكرة خيانة زوجته له ،ومنه قفز خالد بن طوبال بين عارضتي الخط الحديدي . الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر:

1) أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

2) جبور (أم الخير) الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيو نقدية، دار سيم للنشر.

3) مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة ذوقان قرقوط، أفاق الكتابة.

المعاجم:

1) لويس معلوف، المنجد في اللغة و الأدب و العلوم، ط2،، بيروت، بدون تاريخ مادة الهوية.

المراجع بالعربية:

1. إبراهيم الكيلاني، أدباء من الجزائر، سلسلة اقرأ، دار المعارف، مصر، العدد 192، ديسمبر 1958.

2. إبراهيم سعدي، الرواية الفرنكفونية بوصفها نصا متعدد الثقافات المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال اليوم الدراسي (الرواية بين صفتي المتوسط الجزائر 2011).

3. أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، منشورات دار الآداب، الطبعة الأولى، بيروت، تشرين الثاني (نوفمبر) 1966.

4. أحسن ثليلاني، المسرح الجزائري و الثورة التحريرية، دراسة تاريخية فنية، وزارة الثقافة الجزائر، عاصمة الثقافة العربية 2007.

5. أحمد توفيق المدني، جغرافيا القطر الجزائري، مكتبة النهضة، الجزائر، 1963.

6. أحمد سيد مُحَّد، الرواية الإنسانية و تأثيرها عند الروائيين العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

7. الأعرج واسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

8. أنور الجندي، الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا.

9. جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد، التجربة و المآل، وهران، الجزائر، 2007.

10. ريمون طحان، اللغة العربية و تحديات العمر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984.

11. ساطع الحصري، ماهية القومية، دار العلم للملايين، بيروت. (د.ن).

12. سعد خضر، الأدب الجزائري الحديث، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

13. سلوم صغير، رحمان عبد المعطي الحجازي، فاطمة تصرح للشروق، في الشروق الثقافية.

14. عبد العزيز شرف، المقاومة في الادب الجزائري المعاصر، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1991.

15. عبد الكريم غلاب، التعريب و دوره في تدعيم حركات التحرر في المغرب العربي و الوحدة العربية، بيروت 1982.

16. عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب المعاصر في الجزائر، 1925-1954، ط02، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1983.

17. عزالدين المناصرة للهويات و التعددية اللغوية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار المجدلاوي لطباعة و النشر، الأردن، 2004.

18. فايز الصباغ و آخرون، اللغة و الهوية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

19. لطيفة إبراهيم خضر، هويتنا إلى أين؟ عالم الكتب، ط01، القاهرة، 2009.

20. مُحَمَّد خضر سعاد الأدب الجزائري المعاصر، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دون سنة.

21. مُحَمَّد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت 1983.

22. محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1996.

23. نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرر، دار الأصالة لنشر و التوزيع، 2009.

المراجع المترجمة:

1. عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1985م-1967م). ترجمة مُحَمَّد صقر، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982.

2. رضوان عيناد ثابت، 08 ماي 1945 في الجزائر، ترجمة عيناد ثابت.

3. سارتر جان بول (Jean-paul sarter)، عارنا في الجزائر، ترجمة عائدة سهيل إدريس، دار الآداب عن أمين الزاوي، الرواية المكتوبة بالفرنسية.

4. يوسف نسيب، مولود فرعون، حيلته و اعماله، ترجمة حنفي بن عيسى.

المراجع الأجنبية:

1. Bonn Charles, la situation algérienne et conscience national, après l'indépendance, paris, note librairie n°85 oct. dec 1986.
2. Suleiman.y, the arabic and national indenty, george town university press, washingtonDc, 2003.

المجلات:

1. إبراهيم محمود، اللغة العربية في مؤسسات التعليم العالي و الجامعي، الموسم الثقافي السادس، مجلة المجمع اللغوي الاردني، عمان، الاردن،1988.

2. خليف هوارية، نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية و إشكالية الهوية و الانتماء، مجلة الدراسات المعاصرة مخبر الدراسات النقدية و الأدبية المعاصرة، المركز الجامعي تيسمسيلت، العدد 02، جوان2017، الجزائر.

3. دليلة فرحي، إزدواجية اللغة، معايير و إرهامات، مجلة المخبر، جامعة مُحَمَّد خيضر، بسكرة 2009.

4. الشريف كرمة، اللغة العربية و علاقتها بالهوية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم "الجزائر"، العدد السادس، 2006.

5. طاهر بكري، إشكالية الأدب المغاربي الناطق باللغة الفرنسية و مسائلة اللغة، مجلة التبيين، ع. 1990.

6. قايد مُحَمَّد، النقد و محددات الجنس الروائي الجزائري، مجلة القسم العربي ،العدد 26.

7. لويزة حوفاف، نداء القومية و اشكالية العروبة في آثار مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرة،الجزائر، العدد 12، 2016.

الملتقيات:

1. هواري بومدين، الخطاب الإفتتاحي لندوة التعريب الأولى في الجزائر، بتاريخ 1975/03/14.

الرسائل الجامعية:

1. إشراف كلتين، رقية مصطفاوي، التجديد في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ما بعد الاستقلال، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة و الأدب العربي، جامعة جيلالي بونعامة بخميس مليانة.

2. محمد درق، ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب المقال عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مذكرة ماجستير في اللغة و الأدب العربي، إشراف زين الدين مختاري، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2010/2009.

الفهرس

شكر وتقدير
إهداء
مقدمة ..... أ
الفصل الأول: الأدب الجزائري المكتوب بلغة الفرنسية وإشكالية الهوية **1**
المبحث الأول: مراحل تطور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية. **2**
1)فترة ما قبل الاستقلال 1830–1962م: **2**
2)فترة ما بعد الإستقلال1962–1999 ..... **15**
المبحث الثاني: إشكالية الهوية في الأدب الجزائري المكتوب بالغة الفرنسية { صراع الأنا والأخر } **28**
أولا: مفهوم الهوية..... **28**
ثانيا: إشكالية الهوية..... **29**
ثالثا : هوية الأدب الجزائري المكتوب بالغة الفرنسية..... **31**
رابعا :صراع الأنا والآخر **34**
الفصل الثاني: مظاهر الانتماء في رواية ليس في رصيف الأزهار من يجيب **39**
المبحث الأول: التعلق بالوطن والذاكرة. **40**
- **مسقط الرأس الشخصية الرئيسية**..... **40**
- **8ماي 1945:** **42**
- **الروح الوطنية** **46**
- **الوفاء للزوجة :** **49**

المبحث الثاني: الانتماء القومي ودوره في ترسيخ الهوية **52**
أ/ اللغة العربية..... **52**
ب/ العروبة..... **60**
خاتمة **63**
ملاحق..... **66**
قائمة المصادر والمراجع..... **72**
الفهرس **79**
ملخص الدراسة **81**

- **ملخص الدراسة باللغة العربية**

يعتبر الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية نتاج لعدة عوامل، أهمها الاحتلال الفرنسي الذي سعى إلى طمس الهوية الوطنية باستخدام عدة طرق للقضاء على اللغة العربية مما جعلنا نقف على قضية إشكالية اللغة التي صادفها الكثير من لجدل بين النقاد والدارسين، فكانت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية من الأنواع المسيطرة أو الغالبة في الأدب الجزائري بالسان الفرنسي فقد لقيت صدى كبير باعتبارها أداة للتعبير عن جرائم الاستعمار الفرنسي والأساليب التي اتبعتها فرنسا في الجزائر.

- **ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية:**

Algerian literature written in the French language is the product of several factors, the most important of which is the French occupation, which sought to obliterate the national identity by using several methods to eliminate the Arabic language. The dominant or dominant in Algerian literature in the French tongue, it has received a great echo as a tool for expressing the crimes of French colonialism and the methods used by France in Algeria.